الآثار المروية في صفة المعية

تأليف

د. محمد بن خليفة بن علي التميمي

أضواء السلف

بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى

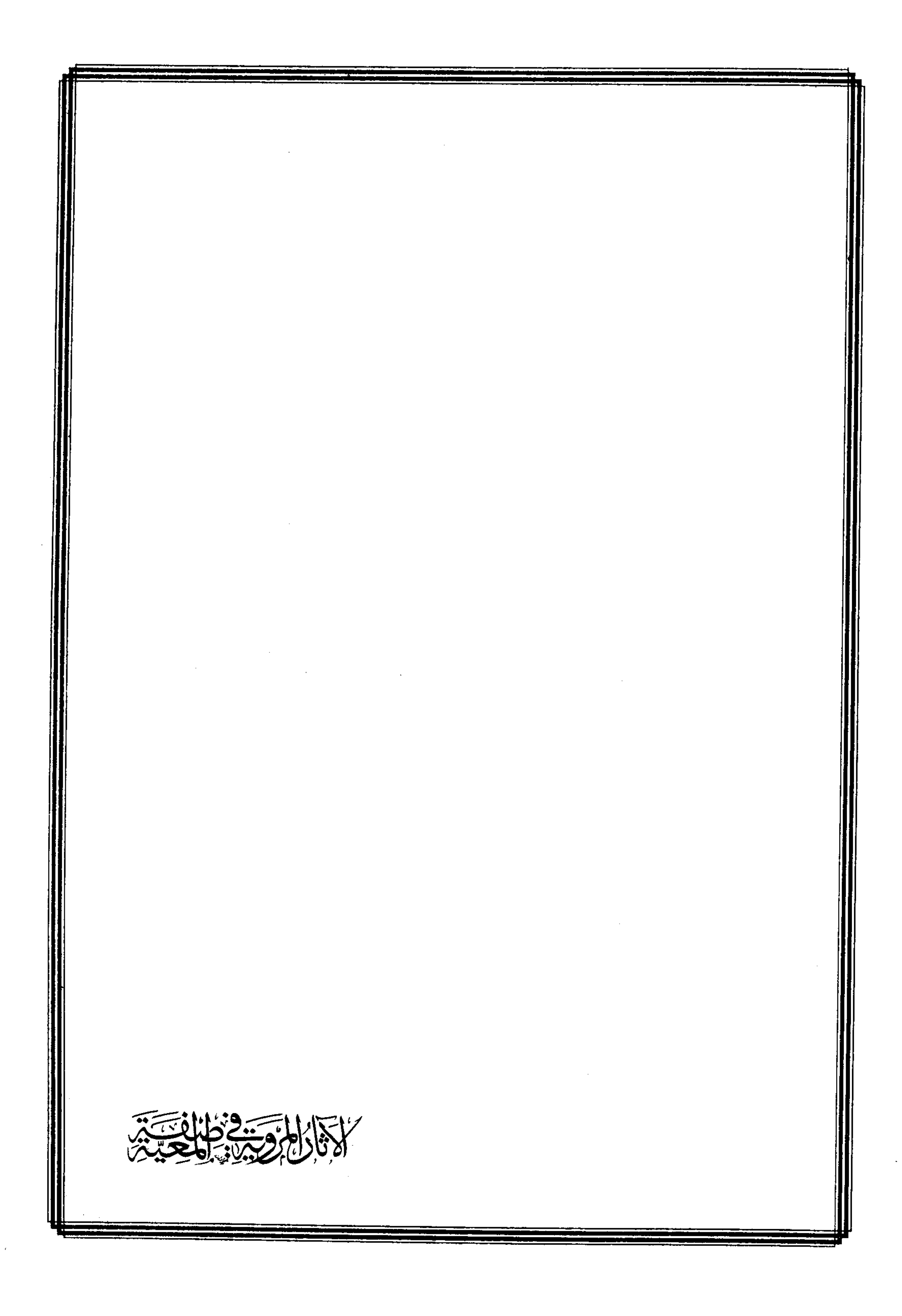
١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

مكتبة أضواء السلف - لصاحبها علي الحربي

الرياض - ص ب ١٢١٨٩٢ - الرمز ١١٧١١ ت ٢٣٢١٠٤٥ - جوال ٠٥٥٤٩٤٣٨٥

تطلب منشوراتنا من :

مكتبة الإمام البخاري - مصر - الإسماعيلية - ت ٣٤٣٧٤٣ / ٠٦٤


الآثار المروية في طائفة المعية


وهو معكم أينما كنتم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وأمينه على وحيه ، وحجته على عباده ، وخِيرته من خلقه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

وبعد :

فإن الإيمان بأسماء الله وصفاته داخل في الإيمان بالله عز وجل ، ذلك أن الإيمان بالله إنما يتحقق بأمرين هما :

أولًا : توحيد الله في أسمائه وصفاته وأفعاله .

وهذا ما يسمى بـ « التوحيد العلمي الخبري » .

ثانيًا : توحيد الله في عبادته وحده لا شريك له .

وهذا ما يسمى بـ « التوحيد الإرادي الطلبي » .

وكلا التوحيدين لابد لتحقيقهما من الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم ؛ حتى تَسْلَم للمسلم عقيدته التي هي مصدر فلاحه وسبب سعادته في الدنيا والآخرة .

هذا وإن العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأشرفها وأعظمها ، بل هو أصلها كلها .

فعلى أساس العلم الصحيح بالله وبأسمائه وصفاته يقوم الإيمان الصحيح وتنبني مطالب الرسالة جميعها .

فهذا التوحيد أساس الهداية والإيمان وأصل الدين الذي يقوم عليه ، ولذلك فإنه لا يتصور إيمان صحيح ممن لا يعرف ربه ، فهذه المعرفة لازمة لانعقاد أصل الإيمان ، وهي مهمة جدًا للمؤمن لشدة حاجته إليها لسلامة قلبه وصلاح معتقده واستقامة عمله ؛ وهي التي توجب للعبد التمييز بين الإيمان والكفر والتوحيد والشرك ، والإثبات والتعطيل ، وتنزيه الرب عما لا يليق به ، ووصفه بما هو أهله من الجلال والإكرام ؛ وذلك يتم كما هو معلوم بتدبر كلام الله تعالى وما تعرَّف به سبحانه إلى عباده على ألسنة رسله من أسمائه وصفاته وأفعاله ، وما نزه نفسه عنه مما لا ينبغي له ولا يليق به سبحانه .

ولما كانت صفة المعية إحدى الصفات الثابتة لله تعالى كما دلت على ذلك الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والآثار السلفية ؛ فقد أحببت أن أجمع النصوص المروية في ذلك لتقرير هذه الصفة ولتوضيح المسائل المتعلقة بها من جهة ، والرد على شبهات المخالفين التي أثيرت حولها من جهة أخرى .

ومما دفعني للكتابة في هذا الموضوع ما أسمعه من بعض الشبه التي تشار بين الحين والآخر حول آيات المعية من قبل أتباع أهل الكلام الذين لا يعتمدون في هذا الباب أصلًا على النصوص الشرعية ، ولكنهم حاولوا التمسك بآيات المعية في إنكارهم وردهم لصفة العلو زعمًا منهم أن آيات المعية تدل على أن الله بذاته في كل مكان .

وقد لبَّسوا بذلك على بعض من ليس له بصيرة ولا علم بالمأثور عن السلف في هذه المسألة ، فظنوا أن هناك تعارضا بين النصوص ؛ أو أن النصوص تشهد

بصحة قول أهل الكلام وزعمهم الفاسد .

فإزالة لتلك الشبه ، ودفعًا لها ، وإحقاقًا للحق الذي هو أحق أن يتبع ، أدلي بدلوي وأقدم هذه الخدمة للحق وطالبيه ، والتي تتمثل في جمع شتات الآثار والمباحث والقضايا المتعلقة بهذه المسألة ، ليسهل على طلاب العلم الاطلاع عليها بأيسر طريق وأقل مؤنة .

* وقد سرت في هذا البحث وفق الخطة التالية :

المقدمة .

المطلب الأول : آيات المعية .

المطلب الثاني : أقوال العلماء في تفسير آيات المعية العامة .

المطلب الثالث : أقوال العلماء التي تجمع بين صفتي العلو والمعية .

المطلب الرابع : أقوال الناس في صفة المعية .

وختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها نتائج البحث .

وقد ركزت في ثنايا بحثي هذا على تتبع الآثار الواردة عن سلف هذه الأمة في هذه المسألة واستخراجها من كتب المأثور ، وترتيبها الترتيب الزمني حسب وفاياتهم ، ومع ما في هذا العمل من الجهد والتعب الذي يستدعيه التنقيب في ثنايا كتب المأثور عن هذه الأقوال إلا أن الفائدة الحاصلة من وراء ذلك أعظم وأكبر ، وذلك من وجهين :

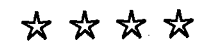
الأول : بيان الحق في هذه المسألة من خلال ذكر أقوال الأئمة في مسألة المعية ، بحيث يقف القارئ الكريم على أقوال الأئمة من علماء هذه الأمة في صفة المعية وتفسيرهم للآيات والنصوص الواردة فيها وبيان فهمهم لها .

ففي هذا الصنيع تجلية للحق وإعانة لطالبيه على فهمه والتمسك به .

والثاني : إيضاح بطلان أقوال المخالفين وبيان مخالفتها لقول السلف وأنها أقوال لا أساس لها لا من النصوص الشرعية ولا من أقوال الأئمة الذين يقتدى بهم ويستأنس بأقوالهم .

فأصحاب الأقوال الباطلة أسسوا بنيانهم على جرف هار ، ودعاوى زائفة إذا ما سلِّط عليها الحق اتضح بطلانها وانكشف فسادها .

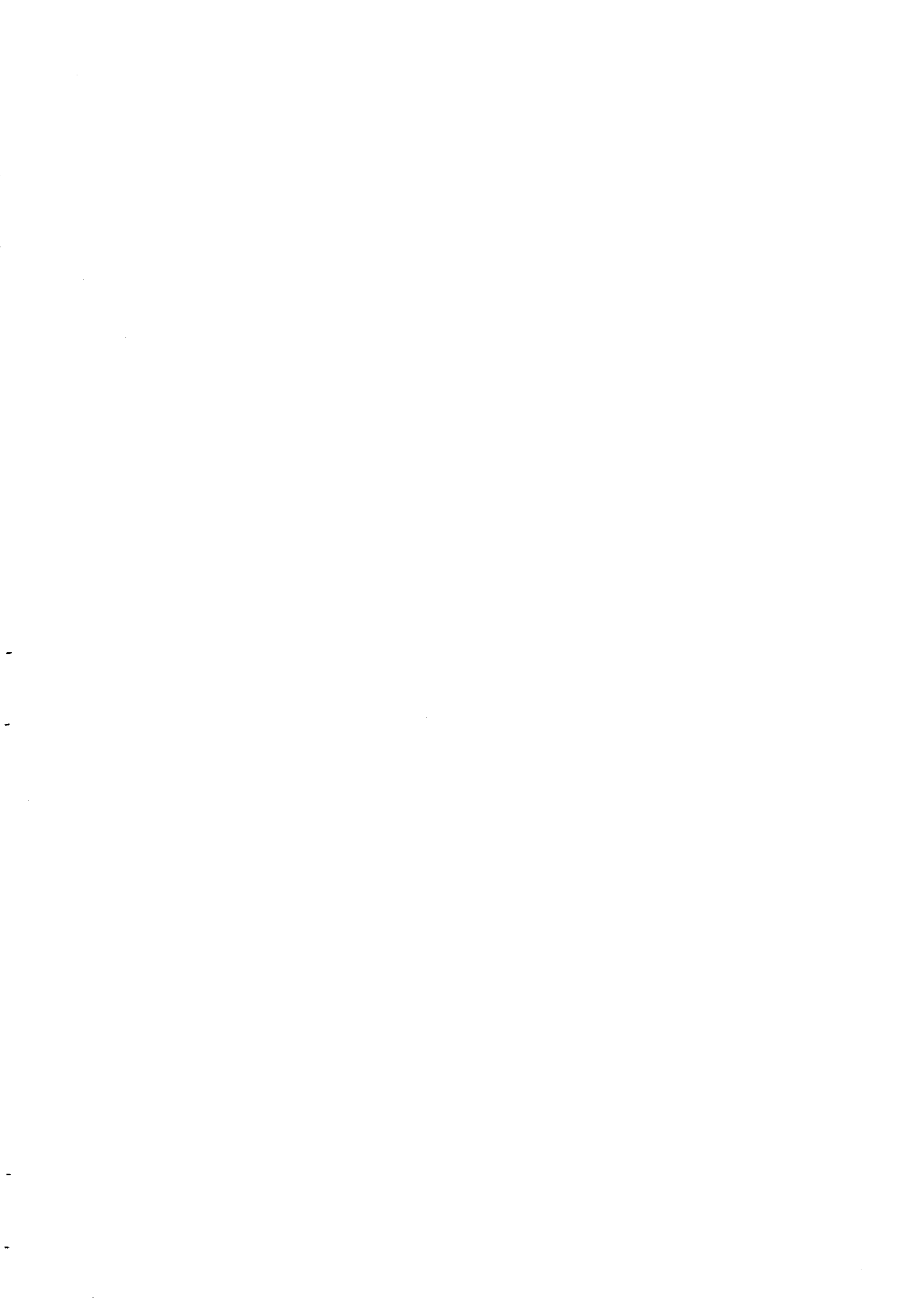
فأرجو من الله عز وجل أن أكون قد وفقت في تحقيق المقصود من هذا البحث ، وأن ينفع به قارئيه ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .





المطلب الأول

آيـــات المعـــــــية



وردت صفة المعية في القرآن لمعنيين هما :

المعنى الأول : المعية العامة

وقد وردت في مواضع من القرآن الكريم وهي :

الموضع الأول : في سورة الحديد (الآية ٤) قال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

الموضع الثاني : في سورة المجادلة (الآية ٧) قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

الموضع الثالث : في سورة النساء (الآية ١٠٨) قال تعالى ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ .

وهذا النوع من أنواع المعية المراد به أن اللّه مع جميع الخلق بعلمه فهو مطلع على خلقه شهيد عليهم وعالم بهم ؛ وسميت عامة لأنها تعم جميع الخلق .

المعنى الثاني : المعية الخاصة

وقد وردت في القرآن الكريم في مواطن كثيرة أورد منها على سبيل المثال لا الحصر الآيات التالية : قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ الآية (١٢٨) من سورة النحل .

وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ الآية (١٥٣) من سورة البقرة ، وقال

تعالى ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ الآية (٤٠) من سورة التوبة ، وهذه هي المعية الخاصة ومن لازمها النصر والتأييد ، وسميت خاصة لأنها تخص أنبياء اللّٰه وأولياءه دون غيرهم من الخلق .

ومما ورد في السنة بهذا الخصوص حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال قال النبي ﷺ « يقول اللّٰه تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني »[(١)].

وبناءً على هذا التقسيم للمعية الوارد في النصوص ، نص عدد من أهل العلم على ذلك في كتبهم وممن ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّٰه حيث قال : « ولفظ (مع) جاءت في القرآن عامة وخاصة ، فالعامة في هذه الآية (يقصد آية الحديد) وفي آية المجادلة فافتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم ، ولهذا قال ابن عباس والضحاك وسفيان الثوري وأحمد بن حبل : هو معهم بعلمه .

وأما « **المعية الخاصة** » ففي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ وقوله تعالى لموسى : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ يعني النبي ﷺ وأبا بكر رضي اللّٰه عنه ، فهو مع موسى وهارون دون فرعون ، ومع محمد وصاحبه دون أبي جهل وغيره من أعدائه ، ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين »[(٢)] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول اللّٰه تعالى ﴿ ويحذركم اللّٰه نفسه ﴾ ص ١٥٥١ رقم ٧٤٠٥ .

ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى اللّٰه تعالى رقم ٢٦٧٥ .

(٢) مجموع الفتاوى ١١ / ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله : « ... فمعية الله تعالى مع عبده نوعان عامة وخاصة وقد اشتمل القرآن على النوعين وليس ذلك بطريق الاشتراك اللفظي بل حقيقتها ما تقدم من الصحبة اللائقة »(١) .

وقال في موضع آخر : « ... فمن المعية الخاصة قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ ﴿ وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ ، ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ ، ومن العامة ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ، وقوله ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ الآية »(٢) .

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله : « ومعيته مع أهل طاعته خاصة فهو سبحانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ...

فالمعية العامة تقتضي التحذير من علمه واطلاعه وقدرته وبطشه وانتقامه .

والمعية الخاصة تقتضي حسن الظن بإجابته ورضاه وحفظه وصيانته »(٣) .

وقال الشوكاني رحمه الله في شرح حديث « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني » .

قال : « فيه تصريح بأن الله تعالى مع عباده عند ذكرهم له ، ومن مقتضى ذلك أن ينظر إليه برحمته ، ويمده بتوفيقه وتسديده ، فإن قلت : هو مع جميع عباده كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ، وقوله جلّ ذكره ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ الآية .

---

(١) مختصر الصواعق ٢ / ٢٦٦ .

(٢) مختصر الصواعق ٢ / ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(٣) فتح الباري لابن رجب ٢ / ٣٣٤ .

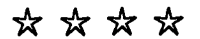
قلت : هذه معية عامة ، وتلك معية خاصة حاصلة للذاكر على الخصوص بعد دخوله مع أهل المعية العامة ، وذلك يقتضي مزيد العناية ووفور الإكرام له والتفضل عليه ، ومن هذه المعية الخاصة ما ورد في كتابه العزيز من كونه مع الصابرين ، وكونه مع الذين اتقوا ، وما ورد هذا المورد في الكتاب العزيز أو السنة ، فلا منافاة بين إثبات المعية الخاصة وإثبات المعية العامة »[١].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله : « معية الله التي ذكرها في كتابه نوعان :

١ـ معية العلم والإحاطة وهي المعية العامة ، فإنه مع عباده أينما كانوا .

٢ـ ومعية خاصة ، وهي معيته مع خواص خلقه بالنصرة والعطف والتأييد »[٢] .

هذه بعض النقول أوردتها على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر لإثبات أصالة هذا التقسيم وأخذ المحققين من العلماء به وهناك نقول أخرى عن جمع أخر من العلماء كلهم قالوا بهذا التقسيم للمعية تركتها خشية الإطالة وإنما أردت بهذا التنبيه على ورود هذا التقسيم في كلام أهل العلم .

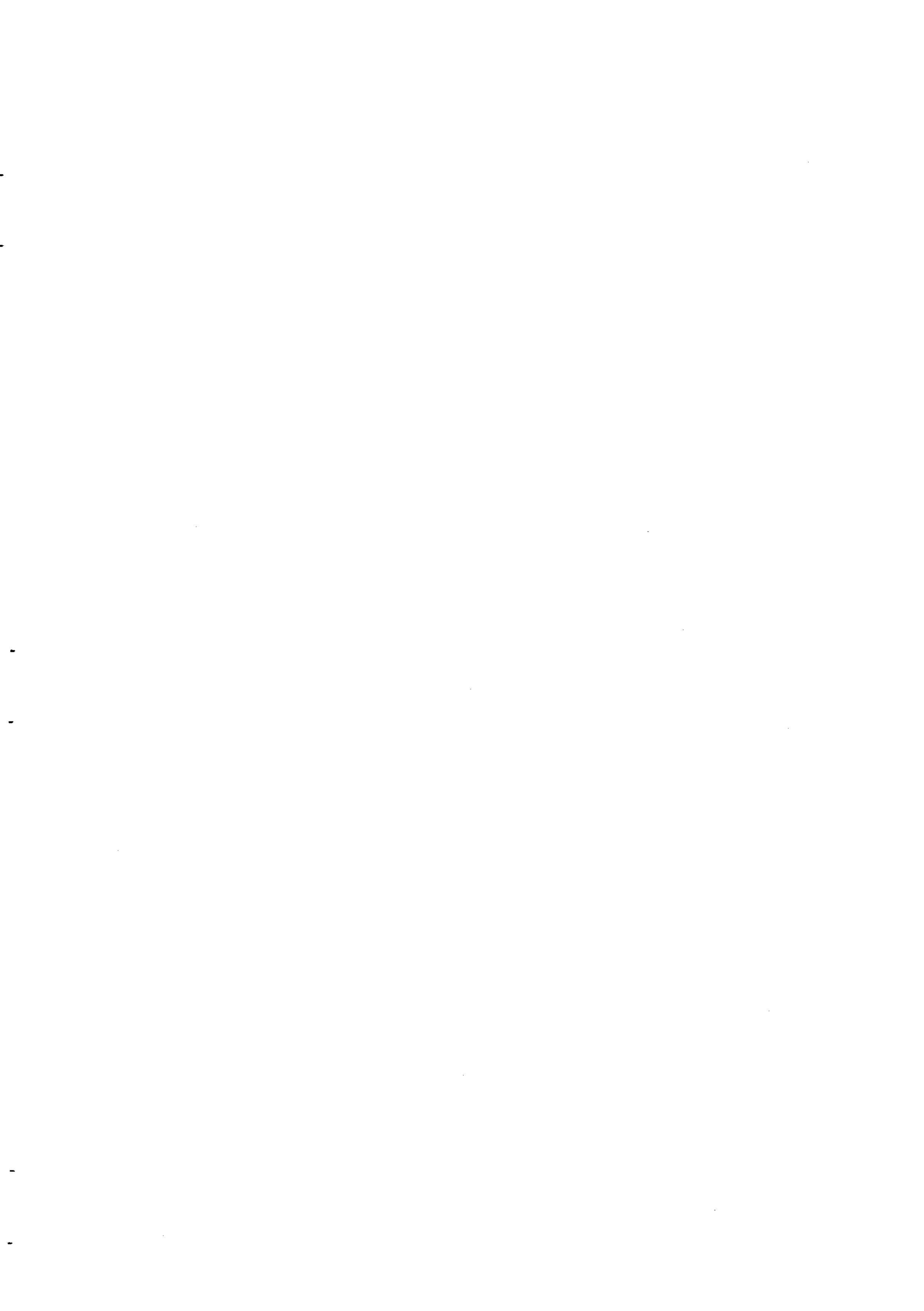


(١) تحفة الذاكرين ص ١١ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ١٤

المطلب الثاني

أقوال العلماء في تفسير آيات المعية العامة



تتابع أهل السنة قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل على تفسير آيات المعية بأنها معية العلم والاطلاع .

والنقول التي سأوردها في هذا المطلب شملت عددًا من أعلام الأمة وأئمتها بما في ذلك القرون المفضلة ، وأئمة الفقه والحديث والتفسير[١] .

فكيف تطيب نفس مسلم بترك أقوال هؤلاء إلى قول من لا يحتج بقوله .

وقد نقل غير واحد من أهل العلم إجماع علماء السلف على تفسيرهم لآيات المعية العامة بأن المراد بها معية العلم ، وسأورد لك هنا ما وقفت عليه من آثار في تفسير تلك الآيات ليتضح لك حقيقة قولهم في المسألة .

والمقصود مما سأورده من آثار هو تفنيد تلك الدعوى التي تمسك بها المخالفون لاعتقاد السلف في هذه المسألة ومسألة العلو ـ التي لها ارتباط وثيق بمسألة المعية ـ فأوردوا حولها دعوى هي أوهى من بيت العنكبوت ، وهي زعمهم أن آيات المعية العامة المراد بها أن اللَّه معنا بذاته في كل مكان تعالى اللَّه عما يقولون علوًّا كبيرًا .

وسيجد القارئ لهذا المطلب أن تفسيرهم ذاك لم يقل به أحد من السلف ولا الأئمة المعتبرين ، بل ولا حتى جمع من قدماء الأشاعرة وعلى رأسهم أبو الحسن الأشعري الذي ينتسبون إليه ، فالأشعري وقدماء أصحابه وافقوا السلف في تفسيرهم لآيات المعية العامة بأنها معية العلم والاطلاع .

---

(١) سأورد في هذا المطلب أقوال بعض الأشاعرة وغيرهم ، لكونهم وافقوا الحق في هذه المسألة ولا يفهم من هذا اعتبارهم من أهل السنة على المعنى الخاص ، والاستشهاد بأقوال هؤلاء سار عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ، والذهبي في كتابيه العلو والعرش ، وغيرهم من الأئمة .

فأصحاب هذه الدعوى مخصومون بما سنورده من آثار من أوجه عديدة .

منها أن هذا المدعي إن كان حمله تعصبه لمذهب معين أو طائفة معينة على ما قال ، مثل أن ينتسب إلى أحد المذاهب الأربعة ، أو العقيدة الأشعرية ، فإن كان ممن ينتسب إلى أحد من أصحاب المذاهب الفقهية المتعارف عليها بين المسلمين فسيجد من النقول عن أولئك الأئمة وكبار تلاميذهم والعلماء المنتسبين إليهم ما يثبت له أنه مخالف لهم في الاعتقاد وإن كان يزعم أنه من أتباعهم في الفروع الفقهية ، ومن ثَمَّ يدرك حقيقة الانفصال الواقع بين أئمة المذاهب الفقهية وتلاميذهم والأئمة المبرزين في مذاهبهم وبين المتأخرين ممن يزعمون أنهم من أتباعهم في الأساس وهو المعتقد الذي هو أهم بكثير من تقليدهم في الفروع الفقهية فأين هذا الاتباع المزعوم ؟!! ولو أن هؤلاء تجردوا من التعصب والهوى ونظروا بعين الحق والإنصاف لعلموا يقينا أنهم مخالفون لهم لا أتباعا لهم .

وإن كان هذا المتعصب ينتسب إلى الأشعرية ، فسيدرك من خلال ما أوردناه من آثار عن متقدمي الأشاعرة ، أنهم لا يوافقون المتأخرين على دعواهم ، وأن تلك الدعوى إنما هي عقيدة باطلة تلقاها المتأخرون ـ الذين كانوا جهمية خلّص في هذا الباب ـ عن قدماء الجهمية والمعتزلة .

فبعد ذلك لا تبقى حجة أو بالأحرى دعوى لمدع في التفسير الباطل الذي ذهبوا إليه وهذا أوان الشروع في إيراد الآثار وأولها :

١ـ قول ابن عباس رضي الله عنه :

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ قال : « عالم بكم أينما كنتم »[١] .

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦ / ١٧١ .

٢- قول الضحاك بن مزاحم رحمه الله[١] (بعد المائة) .

عن مقاتل بن حيان عن الضحاك في قوله عز وجل ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ قال : « هو فوق العرش وعلمه معهم أينما كانوا »[٢] .

---

(١) الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو محمد ، أو أبو القاسم ، الخراساني ، من أئمة المفسرين صدوق كثير الإرسال ، من الخامسة ، مات بعد المائة ، أخرج له أصحاب السنن الأربعة . التقريب (ص ٤٥٩) .

(٢) ووصله كل من أحمد في السنة (ص ٧١) .

وعنه أبو داود في المسائل (ص ٢٦٣) .

وابن أبي حاتم كما في مجموع الفتاوى (٥ / ٤٩٥) .

وابن جرير في تفسيره (٢٨ / ١٢ - ١٣) .

وعبد الله بن أحمد في السنة ١ / ٣٠٤ رقم ٥٩٢ ، ورقم ٥٩٥ .

والآجري في الشريعة (٣ / ١٠٧٩ ، رقم ٦٥٥) .

وابن بطة في الإبانة (- تتمة الرد على الجهمية -) (٣ / ١٥٢ - ١٥٣ ، برقم ١٠٩) .

واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣ / ٤٠٠ ، برقم ٦٧٠) عن مقاتل .

وابن أبي يعلى في الطبقات (١ / ٢٥٢) .

والبيهقي في الأسماء والصفات (٢ / ٣٤١ - ٣٤٢ ، رقم ٩٠٩) .

وأورده ابن عبد البر في التمهيد (٧ / ١٣٩) .

وأورده ابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص ١١٣) .

وابن تيمية في شرح حديث النزول (ص ١٢٦) .

وأورده الذهبي في العلو(ص ٩٨ - ٩٩) وقال : (أخرجه أبو أحمد العسال ، وأبو عبد الله بن بطة ، وأبو عمر بن عبد البر بإسناد جيد ، ومقاتل ثقة إمام) اهـ ، وفي العرش ٢ / ١٥٥ رقم ١٣٦ . ١٣٧

وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٣١ ، وص ٢٥٧) ، وأورده أيضًا كما في مختصر الصواعق (٢ / ١١٢) وقال : (وصح عن الضحاك) .

٣ـ قول مقاتل بن حيان رحمه الله[١] (قبل ١٥٠ هـ) .

قال في قوله تعالى ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ قال : « هو على العرش ولا يخل شيء من علمه »[٢] .

٤ـ قول أبي حنيفة رحمه الله (١٥٠ هـ) .

قال نعيم بن حماد : سمعت نوح بن أبي مريم يقول : كنا عند أبي حنيفة رحمه الله أول ما ظهر ، (أي أمر الجهم بن صفوان) إذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهما ، فدخلت الكوفة ، فأظنني أقل ما رأيت عليها عشرة آلاف من الناس ، تدعو إلى رأيها ، فقيل لها إن رجلا هاهنا قد نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة ، فأتته وقالت : أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك ، أين إلهك الذي تعبده ؟ فسكت عنها ، ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ثم خرج إلينا وقد وضع كتابا أن الله في السماء دون الأرض ، فقال له رجل : أرأيت قول الله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ قال : « هو كما تكتب إلى الرجل إني معك وأنت غائب عنه »[٣] .

---

(١) مقاتل بن حيان النبطي ، أبو بسطام البلخي الخزاز ، مولى بكر بن وائل ، صدوق فاضل ، أخطأ الأزدي في زعمه أن وكيعًا كذبه ، وإنما كذب مقاتل بن سليمان الأزدي ، من السادسة ، مات قبل الخمسين ومائة بأرض الهند ، أخرج له مسلم ، والأربعة . تهذيب التهذيب (١٠ / ٢٧٧) ، التقريب (٩٦٨) .

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣ / ٤٠٠ ، برقم ٦٧٠) . وأورده الذهبي في العلو (ص ١٠٢) ، وفي الأربعين (ص ٦٤ ، برقم ٤٧) ، وفي العرش ٢ / ١٨٤ رقم ١٥٩ ، ٢ / ١٩١ رقم ١٦٥ .

(٣) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢ / ٣٨٣) .
وأورده الذهبي في العلو (ص ١٠١) ، وفي العرش ٢ / ١٧٤ رقم ١٥١ . =

٥ـ قول سفيان الثوري رحمه الله (١٦١ هـ) .

عن معدان ، قال سألت سفيان الثوري عن قول الله عز وجل ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ قال : « علمه »[١] .

٦ـ قول الإمام مالك رحمه الله (١٧٩ هـ) .

قال عبد الله بن أحمد حدثني أبي رحمه الله قال حدثنا سريج بن النعمان أخبرني عبد الله ابن نافع قال : كان مالك بن أنس رحمه الله يقول : « من قال القرآن مخلوق يوجع ضربًا ويحبس حتى يموت » ، وقال مالك رحمه الله : « الله عز وجل في السماء ، وعلمه في كل مكان » وتلا هذه الآية ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ ... سَادِسُهُمْ ﴾ وعظم عليه الكلام في هذا واستشنعه[٢] .

= وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٣٧ ـ ١٣٨) ، وإسناده ضعيف جدا لأن نوح ابن أبي مريم كذاب وضاع .

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص ٨) .
وأخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١ / ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ، ح ٥٩٧) .
والآجري في الشريعة (٣ / ١٠٧٨ ، برقم ٦٥٤) .
وابن بطة في الإبانة (ـ تتمة الرد على الجهمية ـ) ، (٣ / ١٥٤ ـ ١٥٥ ، ح ١١١) .
واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣ / ٤٠١ ، ح ٦٧٢) .
والبيهقي في الأسماء والصفات (٢ / ٣٤١ ، رقم ٩٠٨) .
وابن عبد البر في التمهيد (٧ / ١٣٩) و (٧ / ١٤٢) .
وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص ١١٥ ـ ١١٦ ، برقم ٩٤) ، و (ص ١١٣ ، برقم ٨٩) .
وأورده الذهبي في العلو (ص ١٠٣) ، وفي الأربعين (ص ٦٣ ـ ٦٤ ، برقم ٤٦) ، وفي سير أعلام النبلاء (٧ / ٢٧٤) ، وفي العرش ٢ / ١٨٣ رقم ١٥٨ .

(٢) أخرجه أبو داود في مسائل الإمام أحمد (ص ٢٦٣) ، ط : دار المعرفة .
وأخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١ / ١٠٦ ـ ١٠٧ ، برقم ١١ ، و ١ / ٢٨٠ ، برقم ٥٣٢)
والآجري في الشريعة (٣ / ١٠٧٦ ـ ١٠٧٧ ، برقم ٦٥٢ ـ ٦٥٣) . =

٧ـ قول نعيم بن حماد الخزاعي[(١)] رحمه الله (٢٢٨ هـ) .

قال أحمد بن منصور الرمادي سمعت نعيم بن حماد الخزاعي في قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ : « أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه ، ألا ترى قوله ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ الآية ، أراد أنه لا يخفى عليه خافية »[(٢)] .

٨ـ قول علي بن المديني (٢٣٤ هـ) .

= وابن بطة في الإبانة (ـ تتمة الرد على الجهمية ـ) ، (٣ / ١٥٣ ، ح ١١٠) .
وابن منده في التوحيد (٣ / ٣٠٧ ، برقم ٨٩٣) .
واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣ / ٤٠١) .
وابن عبد البر في التمهيد (٧ / ١٣٨) .
والقاضي عياض في ترتيب المدارك (٢ / ٤٣) .
وأورده ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥ / ١٨٣) ، وفي درء تعارض العقل والنقل (٦ / ٢٦٢) ، وقال : (كل هذه الأسانيد صحيحة) .
وأورده الذهبي في العلو (ص ١٠٣) ، وفي سير أعلام النبلاء (٨ / ١٠١) ، وأورده في الأربعين في صفات رب العالمين (ص ٥٩ ، برقم ٣٩) و(ص ٦٣ ، برقم ٤٥) ، وفي العرش ٢ / ١٧٨ رقم ١٥٥ . وأورده ابن القيم كما في مختصر الصواعق (٢ / ٢١٣) وقال : (ذكره الطلمنكي وابن عبد البر وعبد الله بن أحمد وغيرهم) .
وصححه الألباني في مختصر العلو (ص ١٤٠) .

(١) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي ، أبو عبد الله المروزي ، نزيل مصر ، صدوق يخطئ كثيرًا ، فقيه عارف بالفرائض ، من العاشرة ، مات سنة (٢٢٨ هـ) على الصحيح أخرج له البخاري مقرونا ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجة . التقريب (١٠٠٦) .

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة (تتمة الرد على الجهمية) ، (٣ / ١٤٦ ، برقم ١٠٦) .
وأورده الذهبي في العلو (ص ١٢٦) ، وفي سير أعلام النبلاء (١٠ / ٦١١) ، وفي الأربعين في صفات رب العالمين (ص ٦٤ ، برقم ٤٨) ، وفي العرش ٢ / ٢٣٨ رقم ٢٠٨ .
وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢٢١) .
وقال الألباني في مختصر العلو (ص ١٨٤) : (السند صحيح) .

سئل عن قوله تعالى ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ فقال : اقرأ ما قبله ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ ﴾[(١)] .

٩ـ قول إسحاق بن راهويه (٢٣٨ هـ) .

قال حرب بن إسماعيل : قلت لإسحاق بن راهويه في قول الله ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ كيف تقول فيه ؟ قال : « حيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد ، وهو بائن من خلقه »[(٢)] .

١٠ـ قول الإمام أحمد رحمه الله (٢٤١ هـ) .

قال أبو طالب سألت أحمد بن حنبل عن رجل قال : إن الله معنا ، وتلا ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ . قال : « قد تجهم هذا ، يأخذون بآخر الآية ، ويدعون أولها هلا قرأت عليه ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ فالعلم معهم وقال في سورة (ق) ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ ... ٱلْوَرِيدِ ﴾ فعلمه معهم »[(٣)] .

---

(١) أورده الذهبي في العلو ، انظر المختصر ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .
وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش ص ٢٣٤ .

(٢) أورده ابن بطة في الإبانة (تتمة الرد على الجهمية) ، (٣ / ١٦١ ، برقم ١١٨) .
أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (١١ / ٣٧٠) ، وفي العرش ٢ / ٢٤٥ رقم ٢١٧ .
وأورده في العلو (ص ١٣١) وعزاه للخلال في السنة .
وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢٢٦) .
وقال الألباني في مختصر العلو (١٩١ ، ح ٢٣٣) : (قلت : وأخرجه الهروي أيضا في ذم الكلام (٦ / ١٢٠ / ١) عن حرب به نحوه) .

(٣) رواه ابن بطة في الإبانة (تتمة الرد على الجهمية) ، (٣ / ١٥٩ ـ ١٦٠ ، برقم ١١٦) .
وأورده بنحوه القاضي في إبطال التأويلات (٢ / ٢٨٩ ، برقم ٢٨٦) .
وأورده الذهبي في العلو (ص ١٣٠) ، وفي الأربعين (ص ٦٤ ـ ٦٥ ، برقم ٤٩) .
وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢٠٠ ـ ٢٠١) .

قال المروزي : قلت لأبي عبد الله بن حنبل ، إن رجلًا قال : أقول كما قال الله ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ ، أقول هذا ولا أجاوزه إلى غيره . فقال أبو عبد الله : « هذا كلام الجهمية » . قلت : فكيف نقول ؟ قال : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾ علمه في كل مكان وعلمه معهم » ثم قال : « أول الآية يدل على أنه علمه »(١) .

قال حنبل : قلت لأبي عبد الله ما معنى قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ ، ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ ؟ . قال : « علمه محيط بالكل ، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة »(٢) .

قال أحمد بن جعفر الفارسي الإصطخري : قال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل : « هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها ، المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي

---

(١) رواه ابن بطة في الإبانة (تتمة الرد على الجهمية) ، (٣ / ١٦٠ - ١٦١ ، برقم ١١٧) .
وأورده الذهبي في العلو (ص ١٣٠) .
وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (٢٠١) .

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣ / ٤٠٢ ، برقم ٦٧٥) .
وأورده ابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص ١١٦ ، برقم ٩٥) .
وأورده الذهبي في العلو (ص ١٣٠) ، وفي الأربعين في صفات رب العالمين (ص ٦٥ ، برقم ٥٠) ، وفي العرش ٢ / ٢٤٥ رقم ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ .
وأورده ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥ / ٤٩٦) .
وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (٢٠٠) وعزاه للالكائي .
وانظر مختصر الصواعق (٢ / ٢١٣) ، وقال ابن القيم : (أراد أحمد بنفي الصفة نفي الكيفية والتشبيه ، وبنفي الحد حد يدركه العباد ويحدونه) .
وانظر في مسألة الحد نقض تأسيس الجهمية (٢ / ١٦٢) .

ﷺ إلى يومنا هذا وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق » .

ثم ساق الإمام أحمد أقوالهم في العقيدة إلى أن قال : « وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض ، وسبع أراضين بعضها أسفل من بعض ، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام ، وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام ، والماء فوق السماء العليا السابعة ، وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء ، والله عز وجل على العرش ، والكرسي موضع قدميه ، وهو يعلم ما في السموات والأرضين السبع وما بينهما ، وما تحت الثرى ، وما في قعر البحار ، ومنبت كل شعرة وشجرة ، وكل زرع وكل نبات ، ومسقط كل ورقة ، وعدد كل كلمة ، وعدد الحصى والرمل والتراب ، ومثاقيل الجبال وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ، ويعلم كل شيء ، وهو على العرش فوق السماء السابعة ، ودونه حجب من نور ونار وظلمة وما هو أعلم به .

فإن احتج مبتدع ومخالف بقول الله عز وجل : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ وبقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ وبقوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ ونحو هذا من متشابه القرآن فقل : إنما يعني بذلك العلم ؛ لأن الله تعالى على العرش فوق السماء السابعة العليا ويعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان »(١) .

---

(١) طبقات الحنابلة ١ / ٢٤ .

١١- قول عبد الله بن مسلم بن قتيبة[١] رحمه الله (٢٧٦ هـ) .

قال الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في كتاب « تأويل مختلف الحديث » له : « نحن نقول في قوله ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ إنه معهم يعلم ما هم عليه ، كما تقول للرجل وجّهته إلى بلد شاسع ، احذر التقصير فإني معك ، تريد أنه لا يخفى عليَّ تقصيرك ، وكيف يسوغ لأحد أن يقول : إنه سبحانه بكل مكان على الحلول فيه مع قوله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ ومع قوله ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ كيف يصعد إليه شيء هو معه ، وكيف تعرج الملائكة إليه وهي معه ، ولو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرهم ، وما ركبت عليه خِلَقُهم من معرفة الخالق لعلموا أن الله هو العلي وهو الأعلى ، وأن الأيدي ترتفع بالدعاء إليه ، والأمم كلها عجميها وعربيها ، تقول : إن الله في المساء . ما تركت على فطرها »[٢] .

١٢- قول الإمام الدارمي[٣] رحمه الله (٢٨٠ هـ) .

قال في كتابه « الرد على الجهمية » باب ـ استواء الرب تبارك وتعالى على العرش ، وارتفاعه إلى السماء وبينونته من الخلق ـ :

---

(١) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، أبو محمد ، الإمام الحافظ الأديب ، من المصنفين المكثرين ولد ببغداد سنة (٢١٣ هـ) ، وتوفي بها سنة (٢٧٦ هـ) ، من كتبه : المعارف ، وأدب الكاتب وتأويل مختلف الحديث ، وغيرها . تاريخ بغداد (١٠ / ١٧٠) ، السير (١٣ / ٢٩٦) .

(٢) انظر كتاب تأويل مختلف الحديث (ص ١٨٢ ـ ١٨٣) .

والعرش للذهبي ٢ / ٢٧١ رقم ٢٣٦ .

(٣) عثمان بن سعيد بن خالد ، أبو سعيد ، التميمي السجستاني ، الدارمي نسبة إلى بني دارم ، إمام علامة حافظ ، مات سنة (٢٨٠ هـ) وقد جاوز الثمانين . طبقات الحنابلة (١ / ٢٢١) ، السير (١٣ / ٣١٩) .

« فاحتج بعضهم فيه بكلمة زندقة استوحش من ذكرها وتستر آخر من زندقة صاحبه فقال : قال تعالى ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ ... بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ قلنا : هذه الآية لنا عليكم لا لكم ، إنما يعني أنه حاضر كل نجوى ، ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه ، لأن علمه بهم محيط ، وبصره فيهم نافذ ، لا يحجبه شيء عن علمه وبصره ، ولا يتوارون منه بشيء ، وهو بكماله فوق العرش بائن من خلقه ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ ، أقرب إلى أحدهم من فوق العرش من حبل الوريد ، قادر على أن يكون له ذلك ، لأنه لا يبعد عن شيء ولا يخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض ، فهو كذلك رابعهم ، وخامسهم ، وسادسهم ، لا أنه معهم بنفسه في الأرض كما ادعيتم ، وكذلك فسرته العلماء »(١) .

١٣- قول محمد بن عثمان بن أبي شيبة(٢) رحمه الله (٢٩٧ هـ) .

وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، في كتاب « العرش » له : « ذكروا أن الجهمية يقولون : إن ليس بين الله وبين خلقه حجاب ، وأنكروا العرش ، وأن يكون الله فوقه ، وقالوا إنه في كل مكان » وذكر أشياء إلى أن قال : « فسرت العلماء ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ يعني بعلمه ، توافرت الأخبار أن الله خلق العرش فاستوى عليه بذاته فهو فوق العرش بذاته ، متخلصا من خلقه بائنا منهم »(٣) .

(١) الرد على الجهمية ص ٢٦٨ - ٢٦٩ (ضمن عقائد السلف) .

(٢) أبو جعفر ، محمد بن عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي ، العبسي مولاهم ، الكوفي ، الحافظ ، المسند البارع ، محدث الكوفة ، جمع وصنف وكان من أوعية العلم ، بصيرا بالحديث والرجال ، توفي سنة (٢٩٧ هـ) تاريخ بغداد (٣ / ٤٢ - ٤٧) ، سير أعلام النبلاء (١٤ / ٢١) .

(٣) انظر العرش لابن أبي شيبة . ص (٢٧٦ - ٢٩٢) . =

١٤ـ قول محمد بن جرير الطبري رحمه الله (٣١٠ هـ) .

قال في تفسير قوله تعالى ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ ... بَصِيرٌ ﴾ : « يقول : هو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم ، يعلمكم ويعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم ، وهو على عرشه فوق سبع سمواته »(١) .

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ .. ﴾ الآية : « وعنى بقوله ﴿ هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ بمعنى مشاهدهم بعلمه وهو على عرشه »(٢) .

١٥ـ قول أبي الحسن الأشعري(٣) رحمه الله (٣٢٤ هـ) .

قال في « رسالة إلى أهل الثغر » : « ... وأنه يعلم السر وأخفى من السر ولا يغيب عنه شيء في السموات والأرض حتى كأنه حاضر مع كل شيء وقد دل الله عز وجل على ذلك في قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ وفسَّر ذلك أهل العلم بالتأويل أن علمه محيط بهم حيث كانوا »(٤) .

١٦ـ قول أبي بكر الآجري(٥) رحمه الله (٣٦٠ هـ) .

= وأورده الذهبي في العرش ٢ / ٢٦٤ رقم ٢٣٣ .

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٧ / ٢١٦ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٢٨ / ١٢ .

(٣) أبو الحسن ، علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري ، كان في أول أمره معتزليًا ، ثم تاب من الاعتزال ، وأخذ بقول الكلابية ، ثم رجع إلى معتقد أهل السنة في مجمل المسائل ، توفي سنة (٣٢٤ هـ) . انظر تاريخ بغداد (١١ / ٣٤٦) ، سير أعلام النبلاء (١٥ / ٨٥) .

(٤) انظر رسالة إلى أهل الثغر ص ٢٣٤ .

(٥) محمد بن الحسين بن عبد الله ، أبو بكر الآجري ، فقيه ، شافعي ، محدث ، بغدادي ، توفي سنة (٣٠٦ هـ) وله تصانيف كثيرة منها : أخلاق حملة القرآن ، وأخلاق العلماء ، =

قال الإمام أبو بكر الآجري الحافظ ، في كتاب « الشريعة » له : باب في التحذير من مذهب الحلولية :

« الذي يذهب إليه أهل العلم ، أن الله عز وجل على عرشه ، فوق سمواته ، وعلمه محيط بكل شيء ، قد أحاط علمه بجميع ما خلق في السموات العلى ، وبجميع ما في سبع أراضين ، يرفع إليه أعمال العباد .

فإن قال قائل : إيش يكون معنى قوله ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ الآية التي احتجوا بها ؟ . قيل له : علمه ، والله عز وجل على عرشه ، وعلمه محيط بهم ، كذا فسره أهل العلم ، والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم ، وهو على عرشه ، فهذا قول المسلمين »[١] .

١٧- قول ابن بطة العكبري[٢] رحمه الله (٣٨٧ هـ) .

قال الإمام الزاهد أبو عبد الله بن بطة العكبري ، في كتاب « الإبانة » :

- باب الإيمان بأن الله على عرشه ، بائن من خلقه ، وعلمه محيط بخلقه - أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين ، أن الله على عرشه ، فوق سمواته بائن من خلقه[٣] .

= وكتاب الشريعة ، وغيرها . تاريخ بغداد (٢ / ٢٤٣) ، السير (١٦ / ١٣٣) .

(١) انظر الشريعة للآجري (٣ / ١٠٧٥ - ١٠٧٦) .
وانظر مختصر الصواعق (٢ / ٢١٤) .
وأورده الذهبي في العرش ٢ / ٣٠٩ رقم ٢٥٢ .

(٢) عبيد الله بن محمد بن حمدان العكبري أبو عبد الله ، ابن بطة الحنبلي مصنف كتاب الإبانة المشهور ، إمام قدوة عابد ، فقيه محدث ، مات سنة (٣٨٧ هـ) وله أربع وثمانون سنة .
طبقات الحنابلة (٢ / ١١٤) ، السير (١٦ / ٥٢٩) .

(٣) انظر الإبانة (تتمة الرد على الجهمية) (٣ / ١٣٦) . وانظر مختصر الصواعق (٢ / ٢١٤) .

فأما قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ ، فهو كما قالت العلماء : علمه .

وأما قوله ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ معناه : أنه هو الله في السموات ، وهو الله في الأرض ، وتصديقه في كتاب الله ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ ، واحتج الجهمي بقوله ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ ، فقال : إن الله معنا وفينا ، وقد فسر العلماء أن ذلك علمه ، ثم قال في آخرها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ »[1].

١٨- قول الثعلبي[2] رحمه الله (٤٢٧ هـ) .

قال في قوله ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ : « في العلم »[3] .

١٩- قول الإمام أبي عمر الطلمنكي[4] رحمه الله (٤٢٩ هـ) .

قال في كتابه « الوصول إلى علم الأصول » : « وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه ، وأن الله فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء »[5] .

---

(١) انظر كتاب الإبانة (تتمة الرد على الجهمية) ، (٣ / ١٤٣ - ١٤٥) .
وأورده الذهبي في العرش ٢ / ٣٢٥ رقم ٢٥٩ .

(٢) أحمد بن محمد بن إبراهيم ، أبو إسحاق النيسابوري الثعلبي ، صاحب التفسير المشهور وعالم بالعربية ، حافظ ثقة ، مات سنة (٤٢٧ هـ) . الأنساب (٣ / ١٢٩) ، السير (١٧ / ٤٣٥) .

(٣) أورده الذهبي في كتاب العرش ٢ / ٣٦٨ برقم ٢٨١ وعزاه لتفسير الثعلبي المسمى الكشف والبيان في تفسير القرآن وهو مخطوط .

(٤) أحمد بن محمد بن عبد الله ، أبو عمر المعافري ، الأندلسي ، الطلمنكي ، بحر من بحور العلم إمام مقرئ ، محدث مفسر . مات سنة (٤٢٩ هـ) وقد قارب التسعين . السير (١٧ / ٥٦٦) طبقات المفسرين للداودي (١ / ٧٧) .

(٥) انظر : تلبيس الجهمية لابن تيمية ٢ / ٣٨ . ودرء تعارض العقل والنقل ٦ / ٢٥٠ - ٢٥١ . والعلو للذهبي ٢٦٤ . واجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٤٢ .

٢٠- قول أبي زكريا يحيى بن عمار[١] رحمه الله (٤٤٢ هـ) .

قال الإمام أبو زكريا يحيى بن عمار السجستاني ، في رسالته : « لا نقول كما قال الجهمية ، إنه مداخل للأمكنة ، وممازج لكل شيء ولا نعلم أين هو ؛ بل هو بذاته على العرش ، وعلمه محيط بكل شيء ، وعلمه ، وسمعه وبصره ، وقدرته ، مدركة لكل شيء ، وهو معنى قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ، وهو بذاته على عرشه كما قال سبحانه وكما قال نبيه ﷺ »[٢] .

٢١- قول البيهقي رحمه الله (٤٥٨ هـ) .

قال الإمام أبو بكر بن الحسين البيهقي في كتاب « الاعتقاد » :

« وفي كثير من الآيات دلالة على إبطال قول من زعم من الجهمية أن الله بذاته في كل مكان . وقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ إنما أراد به بعلمه لا بذاته »[٣] .

٢٢- قول الإمام ابن عبد البر رحمه الله (٤٦٣ هـ) .

قال : « وأما احتجاجهم بقوله عز وجل ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ .. ﴾ الآية ، فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية ، لأن علماء الصحابة والتابعين الذين

---

(١) أبو زكريا ، يحيى بن عمار ، الشيباني ، السجستاني ، الواعظ ، نزيل هراة ، كان بارعًا في التفسير والسنة ، توفي سنة (٤٢٢ هـ) . العبر (٣ / ١٥١) ، شذرات الذهب (٢ / ٢٢٦) .

(٢) أورده ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥ / ١٩١) .
وأورده الذهبي في العلو (١٧٧ - ١٧٨)، وفي كتاب العرش ٢ / ٣٤٨ رقم ٢٦٦ .
وأورده ابن القيم مختصرا في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢٧٩) .

(٣) الاعتقاد للبيهقي (ص ١١٢ - ١١٥) .
وأورده الذهبي في العلو (ص ١٨٤ - ١٨٥) . وفي العرش ٢ / ٣٥٥ رقم ٢٧١ .

حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية : هو على العرش وعلمه في كل مكان ، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله »[(١)] .

٢٣ـ قول البغوي رحمه الله (٥١٠ هـ) .

قال في قوله ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ : « في العلم »[(٢)] .

٢٤ـ قول قوّام السنة أبي القاسم الأصبهاني[(٣)] رحمه الله (٥٣٥ هـ) .

قال : « فإن قيل : قد تأولتم قوله عز وجل ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ وحملتموه على العلم . قلنا : ما تأولنا ذلك ، وإنما الآية دلت على أن المراد بذلك العلم ، لأنه قال في آخرها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ »[(٤)].

٢٥ـ قول أبي محمد اليمني[(٥)] رحمه الله (من علماء القرن السادس الهجري) .

قال رحمه الله : « وربما نقول ثاني اثنين وثالث ثلاثة ورابع أربعة وأكثر من ذلك ، بمعنى العلم والحفظ لا بمعنى الشريك لأنه يقول وقوله الحق ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ... أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ أي عليم بهم وحفيظ لهم

---

(١) التمهيد (٧ / ١٣٨ ـ ١٣٩) والذهبي في العرش ٢ / ٣٥٦ رقم ٢٧٢ .

(٢) تفسير البغوي (٤ / ٣٠٧) . وأورده الذهبي في العرش ٢ / ٣٦٨ رقم ٢٨٠ / ٥ .

(٣) إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي ، القرشي ، التيمي ، أبو القاسم ، الأصبهاني ، الملقب بقوّام السنة ، من أعلام الحفاظ ، كان إمامًا في التفسير والحديث واللغة ، صاحب كتاب « الحجة في بيان المحجة » توفي سنة (٥٣٥ هـ) . شذرات الذهب ٤ / ١٠٥ ، الأعلام ١ / ٣٢٣ .

(٤) انظر : الحجة في بيان المحجة ٢ / ٢٩١ .

(٥) أبو محمد اليمني من علماء القرن السادس الهجري وهو صاحب كتاب عقائد الثلاث وسبعين فرقة لايعرف عنه إلا هذا راجع القسم الدراسي من الكتاب المحقق ١ / ١ ـ ٧ .

أينما كانوا ، لا بمعنى التشريك »[١] .

٢٦- قول ابن كثير رحمه الله (٧٧٤ هـ) .

قال في تفسير قوله تعالى ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ .. ﴾ الآية :

« أي مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ، ورسله أيضًا مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له كما قال تعالى ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ ... يَكْتُبُونَ ﴾ . ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن مراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك في إرادة ذلك »[٢] .

٢٧- قول الشوكاني رحمه الله (١٢٥٠ هـ) .

قال في تفسير قوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ : « أي بقدرته وسلطانه وعلمه »[٣] .

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ .. ﴾ الآية : « مستأنفة لتقرير سمو علمه وإحاطته بكل المعلومات ... ومعنى ﴿ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ إحاطة علمه بكل تناج يكون منهم في أي مكان من الأمكنة »[٤] .

قال الشوكاني رحمه الله في شرح حديث « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني »[٥] .

قال : « فيه تصريح بأن الله تعالى مع عباده عند ذكرهم له ، ومن مقتضى

---

(١) عقائد الثلاث وسبعين فرقة ٢ / ٥٢٣ - ٥٢٤ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤ / ٣٢٢ .

(٣) انظر : فتح القدير ٥ / ١٦٦ .

(٤) انظر : فتح القدير ٥ / ١٨٧

(٥) تقدم تخريجه .

ذلك أن ينظر إليه برحمته ، ويمده بتوفيقه وتسديده ، فإن قلت : هو مع جميع عباده كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ ، وقوله جلّ ذكره ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ الآية .

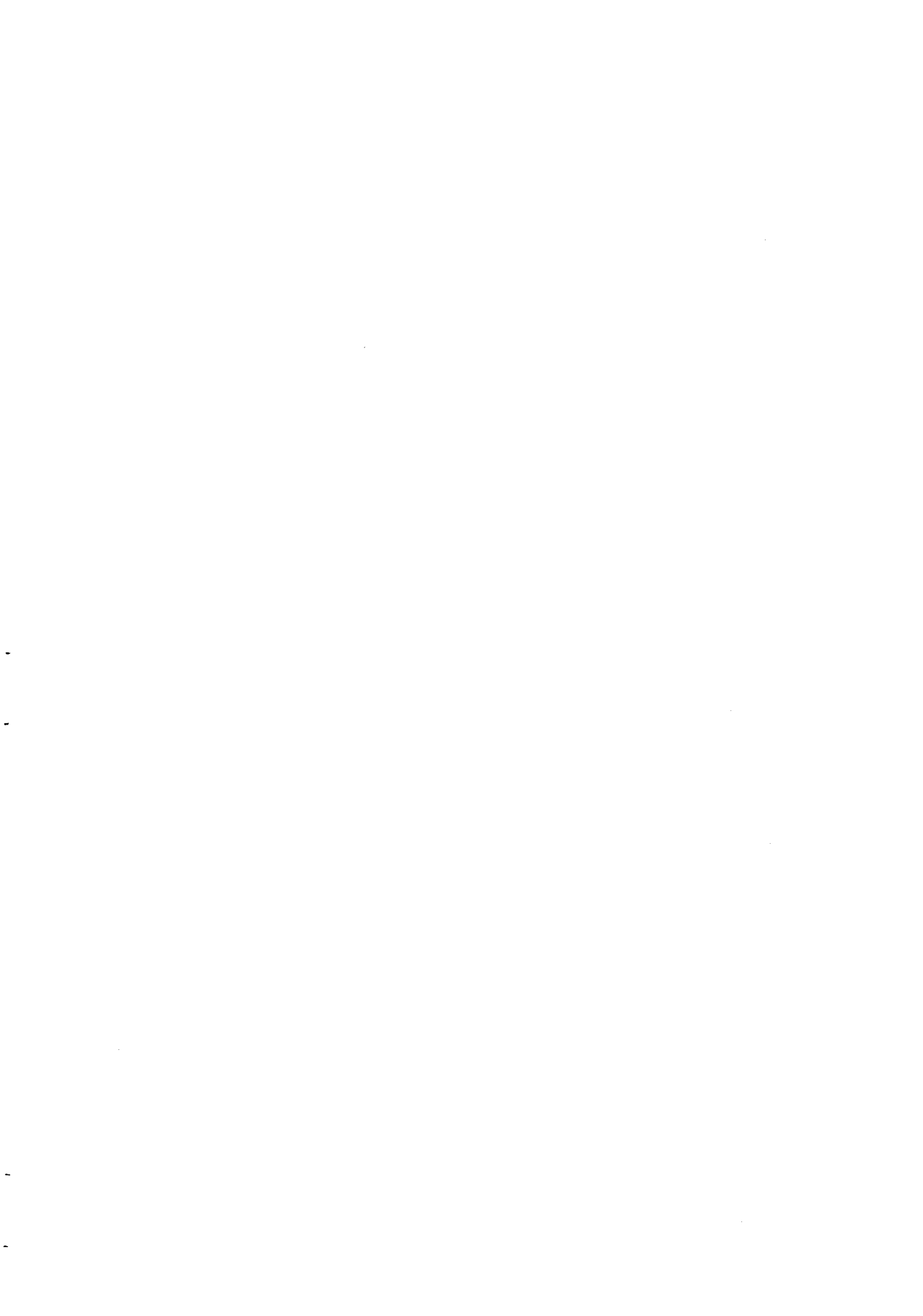
قلت : هذه معية عامة ، وتلك معية خاصة حاصلة للذاكر على الخصوص بعد دخوله مع أهل المعية العامة ، وذلك يقتضي مزيد العناية ووفور الإكرام له والتفضل عليه ، ومن هذه المعية الخاصة ما ورد في كتابه العزيز من كونه مع الصابرين ، وكونه مع الذين اتقوا ، وما ورد هذا المورد في الكتاب العزيز أو السنة ، فلا منافاة بين إثبات المعية الخاصة وإثبات المعية العامة »[١] .



(١) تحفة الذاكرين ص ١١ .

المطلب الثالث

الآثار والأقوال المروية عن
العلماء في الجمع بين صفتي العلو والمعية



مما يؤكد تفسير السلف لآيات المعية العامة بأنها معية العلم والاطلاع ما ورد عن جمع من العلماء من أقوال جمع فيها بين إثبات المعية وإثبات صفة العلو لله عز وجل فبينوا بذلك عدم التعارض بين نصوص المعية والنصوص التي جاء فيها إثبات علو الله سبحانه خلقه .

ودعوى التعارض بين نصوص المعية ونصوص العلو ، من الشبه التي تمسَّك بها المبتدعة أيضًا في هذا الباب ، فبإيراد هذه الآثار عن سلف الأمة من الصحابة ومن بعدهم - والذين أمرنا بالتزام فهمهم - تزول أي دعوى للتعارض بين نصوص القرآن والسنة . فيما جاء فيهما من إثبات العلو لله عز وجل على خلقه وما جاء فيهما من إثبات معية الله لخلقه بعلمه .

وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه النقول تبطل وبشكل صريح دعوى القائلين بأن الله بذاته في كل مكان وأنه حال في خلقه ، فدعواهم لا مستند لها من الكتاب أو السنة أو قول أحد من سلف الأمة وأئمتها .

وإليك الآثار الواردة في ذلك مرتبة ترتيبًا زمانيًا :

١- قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « ما بين السماء القصوى والكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي والماء كذلك ، والعرش فوق الماء والله فوق العرش ، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم »[١] .

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣ / ٣٩٥ - ٣٩٦ ، ح ٦٥٩)
والبيهقي في الأسماء والصفات (٢ / ١٨٦ - ١٨٧) .
والدارمي في الرد على الجهمية (ص ٢٧٥ - ضمن عقائد السلف -) .
وابن خزيمة في التوحيد (١ / ٢٤٢ - ٢٤٣ ، ح ١٤٩) .
والطبراني في الكبير (٩ / ٢٢٨) .
=

٢ـ قول كعب الأحبار رحمه الله[١]:

قال : « قال الله في التوراة : أنا الله فوق عبادي ، وعرشي فوق خلقي ، وأنا على عرشي ، أدبر أمر عبادي ، ولا يخفى علي شيء في السماء ، ولا في الأرض »[٢] .

= وأبو الشيخ في العظمة (٢ / ٦٨٨ ـ ٦٨٩ ، ح ٢٧٩) .
وابن عبد البر في التمهيد (٧ /) .
وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص ١٠٤ ـ ١٠٥ ، ح ٧٥) .
وأورده الذهبي في العلو (ص ٦٤) ، وعزاه لعبد الله بن الإمام أحمد في السنة ، وأبي بكر بن المنذر ، وأبي أحمد العسال ، وأبي القاسم الطبراني ، وأبي الشيخ ، واللالكائي ، وأبي عمر الطلمنكي ، وأبي عمر بن عبد البر ، وقال : (وإسناده صحيح) .
وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٢٢) ، وفي مختصر الصواعق (٢ / ٢١٠) .
وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١ / ٨٦) ، وعزاه للطبراني وقال : (رجاله رجال الصحيح) .

(١) كعب بن مانع الحميري ، أبو إسحاق ، أسلم في خلافة الصديق رضي الله عنه ، ومات في خلافة عثمان رضي الله عنه ، وقد جاوز المائة ، انظر الكاشف (٣ / ٩) ، التقريب (ص ٨١٢) .

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢ / ٦٢٥ ـ ٦٢٦ ، ح ٢٤٤) .
وابن بطة في الإبانة ـ الرد على الجهمية ـ (٣ / ١٨٥ ـ ١٨٦ ، برقم ١٣٧) .
وأبو نعيم في الحلية (٦ / ٧) .
وأورده القاضي وأبو يعلى في إبطال التأويلات (ق ١٤٩ / ب) وعزاه لابن بطة في الإبانة .
وأورده الجيلاني في الغنية لطالبي طريق الحق (١ / ٥٧) .
وأورده الذهبي في العلو (ص ٩٢) ، وقال : (رواته ثقات) ، وفي الأربعين (ص ٤٥) ، وفي العرش ٢ / ١٤٣ رقم ١٢١ .
وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٢٩ ، و ٢٦٠) ، وقال قبله : (وروى أبو نعيم بإسناد صحيح عن كعب) وذكره .
وأورده ابن القيم كذلك كما في مختصر الصواعق (٢ / ٣٧٣) وعزاه لأبي الشيخ وابن بطة وغيرهما بإسناد صحيح . وصححه الألباني في مختصر العلو (ص ١٢٨) .

٣ـ قول عبد الله بن المبارك رحمه الله (١٨١ هـ) .

ثبت عن علي بن الحسن بن شقيق ، شيخ البخاري : قال : قلت لعبد الله ابن المبارك كيف نعرف ربنا ؟ قال : « في السماء السابعة على عرشه » .

وفي لفظ « على السماء السابعة على عرشه ، ولا نقول كما تقول الجهمية إنه هاهنا في الأرض » .

وقال أيضًا : « سألت ابن المبارك : كيف ينبغي لنا أن نعرف ربنا ؟ . قال : « على السماء السابعة ، على عرشه ، ولا نقول كما تقول الجهمي ةإنه هاهنا في الأرض »[١] .

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص ٨) .

والدارمي في الرد على المريسي (ص ١٠٣) ، والرد على الجهمية (ص ٥٠) . وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١ / ١١١ ، ح ٢٢) ، و (١ / ١٧٤ ـ ١٧٥ ، ح ٢١٦) .

وابن بطة في الإبانة (٣ / ١٥٥ ـ ١٥٦ ، ح ١١٢) . وابن منده في التوحيد (٣ / ٣٠٨ ، برقم ٨٩٩) . والصابوني في عقيدة السلف (ص ٢٠ ، برقم ٢٨) . والبيهقي في الأسماء والصفات (٢ / ٣٣٦ ، رقم ٩٠٣) . وابن عبد البر في التمهيد (٧ / ١٤٢) . وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص ١١٧ ـ ١١٨ ، ح ٩٩ ، ١٠٠) .

وأورده ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٦ / ٢٦٤) ، وعزاه للبخاري في خلق أفعال العباد .

وأورده كذلك في الفتوى الحموية (ص ٩١) وقال : (وروى عبد الله بن الإمام أحمد وغيره بأسانيد صحيحة عن ابن المبارك) ، وأورده في نقض تأسيس الجهمية (٢ / ٥٢٥) .

وأورده الذهبي في العلو (ص ١١٠) ، وفي سير أعلام النبلاء (٨ / ٤٠٢) ، وفي الأربعين في صفات رب العالمين (ص ٤٠ ، برقم ١٠) وفي العرش ٢ / ١٨٧ رقم ١٦١ ، ١٦٢ .

وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٣٤ ـ ١٣٥) وقال : (روى الدارمي ، والحاكم والبيهقي ، وغيرهم ، بأصح إسناد إلى علي بن الحسين بن شقيق) وذكره ، وفي (ص ٢١٣ ـ ٢١٤) وقال : (وقد صح عنه صحة قريبة من التواتر) ، وعزاه للبيهقي ، والحاكم ، والدارمي . وأورده أيضًا كما في مختصر الصواعق (٢ / ٢١٢) .

٤ـ قول أبي يوسف[1] صاحب أبي حنيفة رحمه الله (١٨٢ هـ) .

جاء بشر بن الوليد إلى أبي يوسف فقال له : « تنهاني عن الكلام وبشر المريسي ، وعلي الأحوال ، وفلان يتكلمون ، فقال : وما يقولون ؟ قال : يقولون : إن الله في كل مكان . فبعث أبو يوسف فقال : علي بهم ، فانتهوا إليهم ، وقد قام بشر ، فجيء بعلي الأحول والشيخ ـ يعني الآخر ـ ، فنظر أبو يوسف إلى الشيخ وقال : لو أن فيك موضع أدب لأوجعتك ، فأمر به إلى الحبس ، وضرب عليا الأحول وطوِّف به »[2] .

٥ـ قول علي بن عاصم الواسطي[3] رحمه الله (٢٠١ هـ) .

وقال يحيى بن علي بن عاصم[4] : « كنت عند أبي ، فاستأذن عليه المريسي ،

---

(١) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري ، القاضي ، أبو يوسف الكوفي ، صاحب الإمام أبي حنيفة ، المجتهد ، العلامة ، المحدث ، أفقه أهل الرأي بعد أبي حنيفة ، ولد سنة (١١٣ هـ) ، وتوفي سنة (١٨٢ هـ) . تاريخ بغداد (١٤ / ٢٤٢) ، السير (٨ /٥٣٥) .

(٢) أورد القصة ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥ / ٤٥) ، وفي نقض تأسيس الجهمية (٢ / ٥٢٥ ـ ٥٢٦) ، وعزاها لابن أبي حاتم في كتاب الرد على الجهمية ، وساق الأثر بسنده .
وأوردها الذهبي في العلو (ص ١١٢) .
وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢٢٢) ، وقال : (وهي قصة مشهورة ذكرها عبد الرحمن بن أبي حاتم) .
وأوردها أيضًا كما في مختصر الصواعق (٢ / ٢١٢) وقال : (وبشر لم ينكر أن الله أفضل من العرش ، وإنما أنكر ما أنكرته المعطلة أن ذاته تعالى فوق العرش) .
وأوردها شارح الطحاوية (ص ٣٢٣) .

(٣) علي بن عاصم بن صهيب الواسطي التيمي مولاهم ، صدوق يخطئ ويصر ، رمي بالتشيع ، من التاسعة ، مات سنة إحدى ومائتين ، وقد جاوز التسعين . التقريب (ص ٦٩٩) ، تاريخ بغداد (١١ / ٤٤٦) .

(٤) يحيى بن علي بن عاصم الواسطي ، روى عن أبيه . انظر الثقات لابن حبان (٩ / ٢٥٨) .

فقلت له : يأبه مثل هذا يدخل عليك ! فقال : وماله ؟ ؛ قلت : إنه يقول إن القرآن مخلوق ، ويزعم أن الله معه في الأرض ، وكلاما ذكرته ، فما رأيته اشتد عليه مثل ما اشتد عليه في القرآن أنه مخلوق ، وأنه معه في الأرض »[١] .

٦ـ قول أصبغ بن الفرج المالكي[٢] رحمه الله (٢٢٥هـ) .

« وهو مستو على عرشه وبكل مكان علمه وإحاطته »[٣] .

٧ـ قول بشر الحافي[٤] رحمه الله (٢٢٧ هـ) .

« والإيمان بأن الله على عرشه كما شاء ، وأنه عالم بكل مكان ، وأن الله يقول ، ويخلق ، فقوله كن ليس بمخلوق »[٥] .

٨ـ قول حماد بن هنَّاد[٦] رحمه الله (٢٣٠ هـ) .

---

(١) أورده الذهبي في العلو (ص ١١٦) ، وفي العرش

وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢١٦ - ٢١٧) وعزاه لابن أبي حاتم .

(٢) أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع ، فقيه من كبار المالكية بمصر ، قال ابن الماجشون : (ما أخرجت مصر مثل أصبغ وكان كاتب ابن وهب) ، توفي سنة (٢٢٥ هـ) . وفيات الأعيان ١ / ٧٩ ، الأعلام ١ / ٣٣٣ .

(٣) انظر : اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٤٢ .

تهذيب سنن أبي داود ٧ / ١٠٢ .

(٤) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن ، أبو نصر المروزي البغدادي الحافي ، إمام ، ورع ، زاهد مات سنة سبع وعشرين ومائتين ، وله خمس وسبعون سنة . تاريخ بغداد (٧ / ٦٧) ، السير (١٠ / ٤٦٩) .

(٥) أوردها الذهبي في العلو (ص ١٢٧) ، وفي الأربعين (ص ٤٣) . وفي العرش ٢ / ٢٤٤ رقم ٢١٦ .

(٦) هكذا أورده الذهبي في العلو ، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ، وقال محققه : (لم أقف على ترجمته بهذا الإسم ، فلعلها محرفة عن محمد بن سعيد بن هنَّاد البوشنجي ، وترجمته في الأنساب ٢ / ٢٥٩ ، والكاشف ٣ / ٤٢ .

قال : « هذا ما رأينا عليه أهل الأمصار وما دلت عليه مذاهبهم فيه ، وإيضاح مناهج العلماء وطرق الفقهاء ، وصفة السنة وأهلها أن الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وعلمه وقدرته وسلطانه بكل مكان »[١] .

٩- قول أحمد بن نصر الخزاعي[٢] الشهيد رحمه الله (٢٣١ هـ) .

قال إبراهيم الحربي فيما صح عنه : قال أحمد بن نصر وسئل عن علم الله فقال : « علم الله معنا وهو على عرشه »[٣] .

١٠- قول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله (٢٤١ هـ) .

قال يوسف بن موسى القطان : وقيل لأبي عبد الله : الله فوق السماء السابعة على عرشه ، بائن من خلقه ، وعلمه وقدرته بكل مكان . قال : « نعم »[٤] .

قال أحمد بن حنبل رحمه الله في كتاب « الرد على الجهمية » مما جمعه ورواه عبد الله ابنه عنه :

---

(١) انظر العلو للذهبي ص ١٥١ .
واجتماع الجيوش الإسلامية ص ٢٤٢ .

(٢) أحمد بن نصر بن مالك ، الخزاعي ، أبو عبد الله ، ثقة ، قتل شهيدًا في خلافة الواثق لامتناعه عن القول بخلق القرآن سنة (٢٣١ هـ) . سير أعلام النبلاء (١١ / ١٦٦) ، تهذيب التهذيب (١ / ٨٧) .

(٣) أورده الذهبي في العلو ص ١٢٨ .

(٤) أخرجه ابن بطة في الإبانة (تتمة الرد على الجهمية) ، (٣ / ١٥٩ ، ح ١١٥) .
واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(٣ / ٤٠١ - ٤٠٢ ، برقم ٦٧٤) .
وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١ / ٤٢١) .
وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص ١١٦ ، برقم ٩٦) .
والذهبي في العلو (١٣٠) ، وفي العرش (٢ / ٢٤٨ ، برقم ٢٢١) .
وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢٠٠) وعزاه للخلال في كتاب السنة له .

« باب بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش ، قلت لهم : أنكرتم أن يكون الله على العرش ، وقد قال ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ ؟

فقالوا : هو تحت الأرض السابعة ، كما هو على العرش ، وفي السموات والأرض .

فقلنا : قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء أجسامكم وأجوافكم والأماكن القذرة ليس فيها من عظمته شيء ، وقد أخبرنا عز وجل أنه في السماء فقال تعالى ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ، ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ ، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ ، فقد أخبرنا سبحانه أنه في السماء »(١) .

١١- قول الحارث بن أسد المحاسبي(٢) (٢٤٣ هـ) .

قال : « وأما قوله تعالى ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾ ﴿ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ هذا يوجب أنه فوق العرش فوق الأشياء كلها متنزه عن الدخول في خلقه لا يخفى عليه منهم خافية لأنه أبان في هذه

---

(١) انظر الرد على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل (ص ٩٢ - ٩٣ ، ضمن عقائد السلف) .
وأورده الذهبي في العرش (٢ / ٢٥٠ - ٢٥١ برقم ٢٢٤) .
وأورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢٠١ - ٢٠٢) .

(٢) الحارث بن أسد المحاسبي البغدادي أبو عبد الله عاش في بغداد اشتهر بالتصوف وألف فيه كتبا أشهرها الرعاية لحقوق الله ورسالة المسترشدين توفي سنة ٢٤٣ هـ تاريخ بغداد ٨ / ٢١١ السير ١٢ / ١١٠ .

الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده ؛ لأنه قال : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾ يعني فوق العرش ، والعرش على السماء لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء ، في السماء وقد قال ﴿ فَسِيحُوا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ يعني على الأرض لايريد الدخول في جوفها .... »[١] .

١٢ـ قول عبد الوهاب بن الحكم الورّاق[٢] (٢٥١ هـ) .

قال عبد الوهاب بن عبد الحكم الوراق لما روى حديث ابن عباس ما بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور ، وهو فوق ذلك قال : « من زعم أن الله ههنا فهو جهمي خبيث ، إن الله فوق العرش ، وعلمه محيط بالدنيا والآخرة »[٣] .

١٣ـ قول يحيى بن معاذ الرازي[٤] رحمه الله (٢٥٨ هـ) .

قال : « الله تعالى على العرش ، بائن من الخلق ، قد أحاط بكل شيء علمًا وأحصى كل شيء عددًا ، ولا يشك في هذه المقالة إلا جهمي رديء ضليل

(١) انظر مجموع الفتاوى (٥ / ٦٩) .
واجتماع الجيوش الإسلامية ص ٢٧٢ .

(٢) عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع النسائي ، ثم البغدادي ، أبو الحسن الوراق ، صحب الإمام أحمد وسمع منه ، وكان صالحًا ، ورعًا ، زاهدًا ، توفي سنة (٢٥١ هـ) على القول الراجح . طبقات الحنابلة (١ / ٢٠٩ ـ ٢١٢) ، التقريب (ص ٦٣٣) .

(٣) أورده الذهبي في العلو (ص ١٤٢) ، وفي العرش ٢ / ٢٥٣ رقم ٢٢٦ .
وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢٣٢) ، وقال : (صح ذلك عنه ، حكاه عنه محمد بن أحمد ابن عثمان ـ يعني الذهبي ـ في رسالته الفوقية وقال : ثقة حافظ ، روى عنه أبو داود والترمذي والنسائي ، مات سنة خمسين ومائتين) اهـ .

(٤) يحيى بن معاذ الرازي ، أبو زكريا ، الواعظ ، ذكره أبو القاسم القشيري في الرسالة وعده من جملة المشايخ ، توفي سنة (٢٥٨ هـ) بنيسابور . وفيات الأعيان ٦ / ١٦٥ .

هالك مرتاب ، يمزج اللّه بخلقه ويخلط الذات بالأقذار والأنتان »[١] .

١٤ـ قول محمد بن يحيى الذهلي[٢] رحمه اللّه (٢٥٨ هـ) .

سئل محمد بن يحيى عن حديث عبد اللّه بن معاوية عن النبي ﷺ : « ليعلم العبد أن اللّه معه حيث ما كان »[٣] ، فقال : « يريد أن اللّه علمه محيط بكل مكان واللّه على العرش »[٤] .

١٥ـ قول المزني[٥] رحمه اللّه (٢٦٤ هـ) .

قال : « الحمد للّه أحق من ذكر وأولى من شكر ... إلى أن قال ... علا على عرشه في مجده بذاته ، وهو دان بعلمه من خلقه ، أحاط علمه بالأمور ... »[٦] .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ٥ / ٤٩ .
واجتماع الجيوش الإسلامية ص ٢٧٠ .

(٢) محمد بن يحيى بن عبد اللّه بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي النيسابوري الزهري ، ثقة ، حافظ ، جليل ، من الحادية عشرة ، مات سنة (٢٥٨ هـ) على الصحيح وله ست وثمانون سنة .
التقريب (ص ٩٠٧) ، السير (١٢ / ٢٧٣) .

(٣) رواه الطبراني في الصغير ص ١١٥ ، وقال الألباني : (إسناده صحيح) ، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٠٤٦) .

(٤) أورده الذهبي في العلو ص ١٣٦ .

(٥) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني ، أبو إبراهيم ، المصري ، تلميذ الشافعي ، إمام ، علامة ، فقيه ، كان زاهدا ، عالما ، مجتهدا ، قوي الحجة ، توفي سنة (٢٦٤ هـ) . السير (١٢ / ٤٩٢) .

(٦) انظر : شرح السنة . للمزني ص ٧٥ .
شرح العقيدة الواسطية ص ١٣٤ .
والأربعين في صفات رب العالمين رقم ٥١ .
ومختصر الصواعق ٢ / ٢٦٢ ـ ٢٧٩ .

١٦ـ قول أبي حاتم الرازي (٢٧٧ هـ) وأبي زرعة الرازي (٢٦٤ هـ) رحمهما الله .

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سألت أبا حاتم وأبا زرعة الرازيين رحمهما الله عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين ، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار ، وما يعتقدان من ذلك ، فقالا : « أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا ، وعراقًا ، ومصرًا ، وشامًا ، ويمنًا ، وكان من مذهبهم أن الله على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه بلا كيف ، أحاط بكل شيء علمًا »(١) .

١٧ـ عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله (٢٨٠ هـ) .

قال في كتابه « النقض على بشر المريسي » : « قد اتفقت الكلمة من المسلمين ، أن الله بكماله فوق عرشه ، فوق سمواته »(٢) .

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١ / ١٧٦ - ١٧٩ ، برقم ٣٢١) وقد ذكر الاعتقاد بتمامه والنص المذكور هنا تجده في (ص ١٧٧) .
والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٣ / ٨٤) بالسند المذكور هنا ، وأخرجه في العلو (ص ١٣٧ - ١٣٨) وقد ساقها بأسانيد ثلاثة ، وأخرجه في العرش ٢ / ٢٥٧ رقم ٢٢٨ .
وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص ١٢٥ ، برقم ١١٠) .
وأورده ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٦ / ٢٥٧) .
قال الألباني في مختصر العلو (ص ٢٠٤ - ٢٠٥) : (قلت : هذا صحيح ثابت عن أبي زرعة وأبي حاتم رحمة الله عليهما ...) إلى أن قال : (ورسالة بن أبي حاتم محفوظة في المجموع (١١) في الظاهرية في آخر كتاب (زهد الثمانية من التابعين) .
وقد طبعت ضمن « روائع التراث » تحقيق محمد عزيز شمس ، ونشرته الدار السلفية بالهند . انظر (ص ١٩ - ٢٦) .

(٢) انظر الرد على بشر المريسي (ص ٤٠٨ ـ ضمن عقائد السلف ـ) .
وأورده الذهبي في السير (١٣ / ٣٢٥) .

وقال أيضًا في موضع آخر من الكتاب : « وقال أهل السنة : إن اللّه بكماله فوق عرشه ، يعلم ويسمع من فوق العرش ، لا يخفى عليه خافية من خلقه ولا يحجبهم عنه شيء »(١) .

١٨- قول زكريا بن يحيى الساجي(٢) رحمه اللّه (٣٠٧ هـ) .

قال : « القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث ، إن اللّه تعالى على عرشه ، في سمائه ، يقرب من خلقه كيف شاء »(٣) .

١٩- قول الحسن بن علي بن خلف البربهاري(٤) رحمه اللّه (٣٢٩ هـ) .

« وهو جل ثناؤه واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، ربنا أول بلا متى وآخر بلا منتهى ، يعلم السر وأخفى ، وعلى عرشه استوى ، وعلمه بكل مكان ، لا يخلو من علمه مكان »(٥) .

٢٠- قول علي بن مهدي الطبري(٦) رحمه اللّه .

(١) انظر الرد على بشر المريسي (ص ٤٣٨ ـ ضمن عقائد السلف) مع تقديم وتأخير وانظر : « الرد على الجهمية » ص ٢٦٨ (ضمن عقائد السلف) والعرش للذهبي ٢ / ٢٦٠ رقم ٢٣٠ .

(٢) زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن عدي الضبي البصري الساجي ، أبو يحيى محدث البصرة في عصره ، وكان من الحفاظ الثقات ، كان مولده (٢٢٠ هـ) وتوفي سنة (٣٠٧ هـ) . طبقات الشافعية (٢ / ٢٢٦) ، البداية (١١ / ١٣١) .

(٣) أورده ابن تيمية في نقض تأسيس الجهمية (٢ / ٥٢٧ ـ ٥٢٨) .
والذهبي في العلو (ص ١٥٠) وفي العرش (٢ / ٢٧٨ رقم ٢٤٠) .
وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦) .

(٤) الحسن بن علي بن خلف ، البربهاري ، الإمام ، الحافظ ، رأس الحنابلة في بغداد ، وكان معروفًا بشدته في السنة ، توفي رحمه اللّه سنة (٣٢٩ هـ) . طبقات الحنابلة ٢ / ١٨ ـ ٤٥ .

(٥) انظر : شرح السنة للبربهاري ص ٧١ .

(٦) علي بن محمد بن مهدي الطبري ، أبو الحسن صحب أبا الحسن الأشعري بالبصرة ، ألف كتاب =

قيل لعلي بن مهدي ما تقولون في قوله ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ ؟ ، قال : « إن بعض القراء يجعل الوقف ﴿ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ ﴾ ، ثم يبتدئ ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ﴾ ، وكيف ما كان ، ولو أن قائلًا قال : فلان بالشام والعراق ملك ، يدل على أن ملكه بالشام والعراق لا أن ذاته فيهما »[١] .

٢١- قول ابن أبي زيد القيرواني[٢] رحمه الله (٣٨٦ هـ) .

قال الإمام أبو محمد بن أبي زيد المالكي المغربي في رسالته في مذهب مالك أولها : « وأنه فوق عرشه المجيد بذاته ، وأنه في كل مكان بعلمه »[٣] .

وقال في كتابه المفرد في السنة : « وأنه فوق سمواته على عرشه دون أرضه وأنه في كل مكان بعلمه »[٤] .

= (تأويل الأحاديث المشكلات الواردة في الصفات) . انظر تبيين كذب المفتري (ص ١٩٥ - ١٩٦)

(١) أورد هذا الكلام ابن تيمية في نقض تأسيس الجهمية (٢ / ٣٣٥ - ٣٣٧) .
والذهبي في العرش ٢ / ٣٢٢ رقم ٢٥٦ .

(٢) أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي ، القيرواني ، المالكي ، فقيه ، مفسر ، مشارك له مصنفات كثيرة منها ، كتاب النوادر والزيادات ، ومختصر المدونه ، وكتاب الرسالة ، وإعجاز القرآن ، توفي سنة (٣٨٦ هـ) . السير (١٧ / ١٠) ، شذرات الذهب (٣ / ١٣١) .

(٣) انظر رسالة القيرواني (ص ٤) ، باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات ، ط : مطبعة مصطفى الحلبي ، الطبعة الثانية (١٣٦٨ هـ) .
وأورده ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥ / ١٨٩) .
أورده الذهبي في العلو (ص ١٧١) ، وفي العرش ٢ / ٣٤١ رقم ٢٦٣ .
وأورده ابن القيم كما في مختصر الصواعق (٢ / ١٣٤) وقال : (فصرح به أبو محمد بن أبي زيد في ثلاثة مواضع من كتبه أشهرها الرسالة ، وفي كتاب جامع النوادر ، وفي كتاب الآداب) .

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٥١ .

٢٢ـ قول محمد بن عبد الله ابن أبي زمنين[١] رحمه الله (٣٩٩ هـ) .

قال محمد بن عبد الله « ومن قول أهل السنة إن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه في قوله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ ... فسبحان من بعد فلا يرى ، وقرب بعلمه وقدرته فسمع النجوى »[٢] .

٢٣ـ قول أبي بكر الباقلاني[٣] رحمه الله (٤٠٣ هـ) .

قال أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في كتاب « الإبانة » :

« فإن قيل : هل تقولون إنه في كل مكان ؟

قيل له : معاذ الله ، بل هو مستو على عرشه ، كما أخبر في كتابه وقال ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ وقال ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ ، وقال ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾ ، ولو كان في كل مكان ، لكان في بطن الإنسان وفمه ، والحشوش ، ولوجب أن يزيد بزيادات الأماكن ، إذا خلق منها ما لم يكن ، ولصح أن يرغب إليه إلى نحو الأرض ، وإلى خلفنا ، وإلى يميننا وشمالنا ، وهذا قد أجمع المسلمون على خلافه وتخطئة قائله »[٤] .

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المري الأندلسي المالكي المعروف بابن زمنين محدث فقيه أصولي مفسر صوفي أديب شاعر ولد سنة ٣٢٤ هـ وتوفي سنة ٣٩٩ هـ من أشهر مؤلفاته أصول السنة الوافي بالوفيات ٢ / ٣٢١ ، شذرات الذهب ٣ / ١٥٦ .

(٢) رياض الجنة بتخريج أصول السنة ص ٨٨ .

(٣) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ، البصري ، ثم البغدادي ، أبو بكر ، ابن الباقلاني ، صاحب التصانيف ، مات سنة (٤٠٣ هـ) . قال عنه الذهبي : « الذي ليس في متكلمي الأشاعرة أفضل منه ، لا قبله ولا بعده » تاريخ بغداد (٥ / ٣٧٩) ، السير (١٧ / ١٩٠) .

(٤) هذا الكلام ذكره ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٥ / ٩٨ ـ ٩٩) ، وقد نقله الذهبي في =

٢٤ـ قول أبي بكر محمد بن موهب المالكي[(١)] رحمه الله (٤٠٦ هـ) .

قال رحمه الله « ... فلذلك قال الشيخ أبو محمد[(٢)] : « إنه فوق عرشه » ثم بين أن علوه فوق عرشه ، إنما هو بذاته ، لأنه تعالى بائن عن جميع خلقه بلا كيف ، وهو في كل مكان بعلمه لابذاته »[(٣)] .

٢٥ـ قول اللالكائي[(٤)] رحمه الله (٤١٨ هـ) .

قال الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن الشافعي ، في كتاب شرح أصول السنة له : « سياق ما روي في قوله ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ ، وأن الله على عرشه في السماء ، قال عز وجل ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ ، وقال ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَاءِ ﴾ ، وقال ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ ، قال : فدلت هذه الآيات أنه في السماء وعلمه محيط بكل مكان »[(٥)] .

٢٦ـ قول معمر بن أحمد الأصبهاني[(٦)] رحمه الله (٤٢٨ هـ) .

= العرش ٢ / ٣٣٨ رقم ٢٦١ . ومختصرًا في سير أعلام النبلاء (١٧ / ٥٥٨ ـ ٥٥٩) .

(١) محمد بن موهب ، التجيبي ، أبو بكر ، الحصَّار ، المعروف بالقبري ، كان من العلماء الزهَّاد الفضلاء ، له مؤلفات كثيرة في العقائد ، توفي بقرطبة سنة (٤٠٦ هـ) . ترتيب المدارك ٧ / ١٨٨ .

(٢) يريد الإمام أبا محمد بن أبي زيد القيرواني ، وذلك في شرحه على الرسالة .

(٣) أورده الذهبي في العلو ص ١٩٢ . وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٥٦ .

(٤) هبة الله بن الحسن بن منصور ، الطبري ، أبو القاسم ، اللالكائي ، نسبته إلى بيع اللوالك ، ـ وهي التي تلبس في الأرجل ـ ، الشافعي ، إمام حافظ ، مجود ، صاحب شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، توفي سنة (٤١٨ هـ) . تاريخ بغداد (١٤ / ٧٠) ، السير (١٧ / ٤١٩) .

(٥) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣ / ٣٨٧ ـ ٣٨٨) .
وأورده الذهبي في العرش ٢ / ٣٤٤ رقم ٢٦٤ .

(٦) أبو منصور معمر بن أحمد بن محمد الأصبهاني كان كبير الصوفية في أصبهان وروى عن الطبراني المحدث توفي سنة ٤٢٨ هـ شذرات الذهب ٣ / ٣١١ .

قال رحمه الله في رسالته إلى بعض أصحابه : « وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل والاستواء معقول والكيف مجهول وأنه عز وجل بائن من خلقه والخلق بائنون منه بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط ولا ملاصقة »[(١)] .

٢٧ـ قول أبي نصر السجزي[(٢)] رحمه الله (٤٤٤ هـ) .

قال الإمام أبو نصر السجزي الحافظ ، في كتاب « الإبانة » له : « وأئمتنا الثوري ، ومالك ، وابن عيينة ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، وابن المبارك ، وفضيل بن عياض ، وأحمد ، وإسحاق ، متفقون على أن الله فوق عرشه بذاته ، وأن علمه بكل مكان »[(٣)] .

٢٨ـ قول أبي إسماعيل الأنصاري[(٤)] رحمه الله (٤٨١ هـ) .

قال الإمام أبو إسماعيل الأنصاري في كتاب « الصفات » له : ـ باب إثبات

(١) أورده ابن تيمية في الفتاوى ٥ / ٦١ .
والذهبي في العلو ص ٢٦٢ .
وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ٢٧٦ .

(٢) عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي الوائلي ، أبو نصر ، محدث ، حافظ ، صنف ، وخرج وعالمًا بالأصول والفروع ، توفي في الحرم سنة (٤٤٤ هـ) . تذكرة الحفاظ (٣ / ١١١٨) السير (١٧ / ٦٥٤) .

(٣) أورده ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل (٦ / ٢٥٠) .
وفي نقض تأسيس الجهمية (٢ / ٣٨ ، ٤١٦ ـ ٤١٧) ، وفي مجموع الفتاوى (٥ / ١٩٠) ، والذهبي في العلو (ص ١٧٢) ، وفي سير أعلام النبلاء (١٧ / ٦٥٦) ، وفي كتاب العرش » ٢ / ٣٤٢ رقم ٢٦٣ / ٣ ، و٢ / ٣٥٣ رقم ٢٧٠ . وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢٤٦) ، وأورده أيضًا كما في مختصر الصواعق (٢ / ٢١٤) .

(٤) عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري ، أبو إسماعيل الهروي ، شيخ خراسان ، إمام قدوة ، حافظ كبير ، توفي سنة (٤٨١ هـ) وله أربع وثمانون سنة ونيف . الأنساب (١ / ٣٦٧) ، السير (١٨ / ٥٠٣) .

استواء اللَّه على عرشه فوق السماء السابعة ، بائنًا من خلقه ، من الكتاب والسنة ـ فذكر رحمه اللَّه دلالات ذلك من الكتاب والسنة ـ إلى أن قال ـ : « في أخبار شتى أن اللَّه عز وجل في السماء السابعة على العرش بنفسه ، وهو ينظر كيف تعملون ، علمه ، وقدرته ، واستماعه ، ونظره ، ورحمته ، في كل مكان »[١] .

٢٩ـ قول أبي الحسن الكرجي[٢] رحمه اللَّه (٤٩١ هـ) .

قال الإمام أبو الحسن الكرجي في عقيدته المعروفة التي أولها :

محاسن جسمي بدلت بالمعايب وشيب فَوْدي شيب وصل الحبائب

إلى أن قال :

وأفضل زاد في المعاد عقيدة على منهج في الصدق والصبر لاحب

عقائدهم أن الإله على عرشه مع علمه

وأن استواء الرب يعقل كونه ويجهل فيه الكيف جهل الشهارب[٣]

٣ ـ قول عبد القادر الجيلي[٤] رحمه اللَّه (٥٦١ هـ) .

قال الشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ، في كتاب « الغنية » له : « وهو

---

(١) أورده الذهبي في العلو (ص ١٨٩) . وفي العرش ٢ / ٣٦٥ رقم ٢٧٩ .

(٢) مكي بن محمد بن علّان ، أبو الحسن الكرجي ، المعتمد ، المعروف بالسّلار ، الشيخ الجليل المسند ، المعمر ، مات بأصبهان سنة (٤٩١ هـ) . السير (١٩ / ٧١) ، شذرات الذهب (٣ / ٣٩٧) .

(٣) أورده الذهبي في العرش ٢ / ٣٦٨ رقم ٢٨٢ .

(٤) عبد القادر بن أبي صالح عبد اللَّه بن جنكي دوست الجيلي ، أبو محمد الحنبلي ، شيخ بغداد الإمام ، الزاهد ، العارف ، القدوة ، ولد سنة (٤٧١ هـ) وتوفي سنة (٥٦١ هـ) . ذيل طبقات الحنابلة (١ / ٢٩٠) ، السير (٢٠ / ٤٣٩) .

بجهة[١] العلو مستو على العرش ، محتو على الملك ، محيط علمه بالأشياء ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ، ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان ، بل يقال إنه في السماء على العرش كما قال ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ ، وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل ، وأنه استواء الذات على العرش ، وكونه سبحانه وتعالى على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف »[٢] .

٣١- قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٧٢٨ هـ) .

« ... وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله : الإيمان بما أخبر الله به في كتابه ، وتواتر عن رسوله ﷺ ، وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه ، عليٌّ على خلقه ، وهو سبحانه معهم أينما كانوا ، يعلم ما هم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ

(١) لفظ « الجهة » من الألفاظ المجملة التي لم ترد في النصوص لا نفيًا ولا إثباتًا وهذا النوع من الألفاظ يقول فيه شيخ الإسلام ابن تيمية : « والمقصود هنا أن الأئمة الكبار كانوا يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة ، لما فيها من لبس الحق بالباطل ، مع وقوع الاشتباه والاختلاف والفتنة ، بخلاف الألفاظ المأثورة ، والألفاظ التي بينت معانيها ، فإن ما كان مأثورًا حصلت به الألفة ، وما كان معروفًا حصلت به المعرفة » . درء تعارض العقل والنقل ١ / ٢٧١ .

(٢) انظر كتاب الغنية لطالبي طريق الحق لعبد القادر الجيلاني (١ / ٥٤ - ٥٧) ، ط : الحلبي ، وطبقات الحنابلة (١ / ٢٩٦) .

ومجموع الفتاوى (٥ / ٨٥) .

والعلو للذهبي (ص ١٩٣) . والعرش ٢ / ٣٦٩ رقم ٢٨٢ .

واجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٢٧٧) .

مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ »[١] .

٣٢- قول محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي رحمه الله (٧٤٨ هـ) .

صنف الإمام الذهبي كتاب العلو وكتاب العرش في إثبات علو الله على عرشه ، وأنه مع خلقه بعلمه ، وساق فيه الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل العلم إلى قريب من زمانه ، وحكى الإجماع عن كثير منهم على أن الله تعالى فوق عرشه ، ومع الخلق بعلمه .

ومما قاله في أثناء كتابه العلو « ويدل على أن الباري تبارك وتعالى عالٍ على الأشياء ، فوق عرشه المجيد ، غير حالٍ بالأمكنة قوله تعالى ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ »[٢] .

٣٣- قول الإمام شمس الدين ابن القيم رحمه الله (٧٥١ هـ) .

صنف الإمام ابن القيم كتابه اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لبيان مسألة علو الله على عرشه ومعيته لخلقه ، فساق الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أكابر العلماء إلى قريب من زمانه ، وحكى الإجماع عن كثير منهم على ذلك ، كما اشتمل كتابه الصواعق المرسلة ، وقصيدته الكافية الشافية على فصول كثيرة في تقرير هذه المسألة .

٣٤- قول ابن رجب الحنبلي رحمه الله (٧٩٥ هـ) .

وقد ردّ ابن رجب رحمه الله تعالى على الذين فسروا المعية بتفسير لا يليق

---

(١) انظر : المجموع ٣ / ١٤٢ .

(٢) انظر : العلو ص ٨٣ .

بالله عز وجل وهم الذين يقولون : إن الله بذاته في كل مكان ، وهم الحلولية من الجهمية ومن نحا نحوهم .

فقال رحمه الله تعالى : « ولم يكن أصحاب النبي ﷺ يفهمون من هذه النصوص غير المعنى الصحيح المراد بها ، يستفيدون بذلك معرفة عظمة الله وجلاله واطلاعه على عباده وإحاطته بهم وقربه من عابديه وإجابته لدعائهم فيزدادون به خشية لله وتعظيمًا وإجلالًا ومهابة ومراقبة واستحياء ويعبدونه كأنهم يرونه ، ثم حدث بعدهم من قل ورعه وانتكس فهمه وقصده وضعفت عظمة الله وهيبته في صدره وأراد أن يرى الناس امتيازه عليهم بدقة الفهم وقوة النظر ، فزعم أن هذه النصوص تدل على أن الله بذاته في كل مكان كما حكى ذلك طوائف من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم ، تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا .

وهذا شيء ما خطر لمن كان قبلهم من الصحابة رضي الله عنهم ، وهؤلاء ممن يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وقد حذر النبي ﷺ منهم في حديث عائشة المتفق عليه .

وتعلقوا أيضًا بما فهموه بفهمهم القاصر مع قصدهم الفاسد بآيات في كتاب الله تعالى مثل قوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ وقوله : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ .

فقال من قال من علماء السلف حينئذ إنما أراد أنه معهم بعلمه وقصدوا بذلك إبطال ما قال أولئك مما لم يكن أحد قبلهم قاله ولا فهمه من القرآن .

وحكى ابن عبد البر وغيره إجماع العلماء من الصحابة والتابعين في تأويل قوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ أن المراد علمه ، وكل هذا قصدوا به

رد قول من قال إنه تعالى بذاته في كل مكان »[١] .

٣٥- قول صديق حسن خان رحمه الله (١٣٠٧ هـ) .

« وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره ، وهذه سنة رسول الله ﷺ ، وهذا كلام الصحابة والتابعين ، وسائر الأئمة ، قد دل ذلك بما هو نص أو ظاهرٌ في أن الله سبحانه فوق العرش ، فوق السموات ، استوى على عرشه ، بائن من خلقه ، ... وهو معهم أينما كانوا . قال نعيم بن حماد لما سئل عن معنى هذه الآية ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ معناها : (أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه) وليس معناه أنه مختلط بالخلق ، فإن هذا لا توجبه اللغة ، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها ، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق ... - إلى أن قال : ... فكل ما في الكتاب والسنة من الأدلة الدالة على قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته ، فإنه سبحانه عليٌّ في دنوِّه وقريب في عُلوِّه ، والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدًا »[٢] .

☆ ☆ ☆ ☆

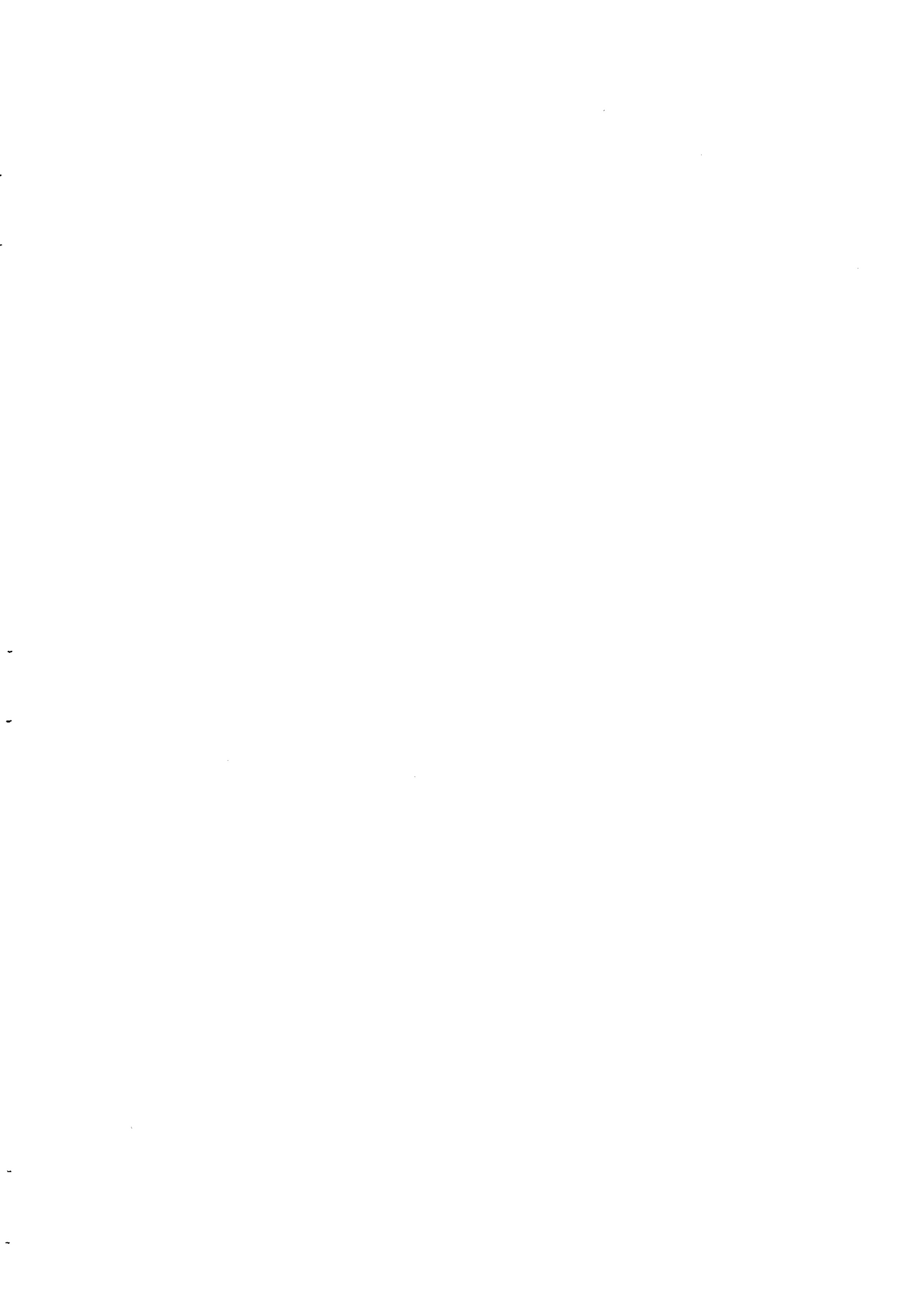
---

(١) فتح الباري لابن رجب ٢ / ٣٣١ - ٣٣٢ .

(٢) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر لصديق حسن خان ص ٥٠ - ٥١ .

المطلب الرابع

أقوال الناس في صفة المعية



من المعلوم أن لمسألة المعية اتصالها الوثيق بمسألة العلو ، فما نشأ من أقوال في مسألة العلو ترتب عليها في المقابل أقوال من جنسها في مسألة المعية .

وقد افترق الناس في هذا المقام على أربعة أقوال هي :

القول الأول : قول أهل السنة والجماعة

يقولون : إن اللَّه فوق سمواته ، عالٍ على خلقه ، مستوٍ على عرشه ، بائن من خلقه ؛ كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة .

القول الثاني : قول معطلة الجهمية ونفاتهم

وهم الذين يقولون : لا هو داخل العالم ولا خارجه ، ولا فوقه ولا تحته ، ولا مباين له ، ولا محايث له ؛ وهم بقولهم هذا قد نفوا الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود منهما[(١)] ، وبالغوا في نفي التشبيه ؛ حتى أدى بهم ذلك إلى نفي وجوده بالكلية ، وذلك خشية منهم أن يشبهوه ، فهم قالوا بهذه المقالة هربًا منهم ـ على حد زعمهم ـ من إثبات الجهة ، والمكان ، والحيِّز ؛ فإن فيها كما يدَّعون تجسيمًا ، وهو تشبيه ، فقالوا : يلزمنا في الوجود ما يلزم مثبتي الصفات ، فنحن نسد الباب بالكلية .

وقد استند أصحاب هذا القول في قولهم هذا على حجج ، زعموا أنها عقلية أسسوها وابتدعوها وجعلوها مقدمة على كل نص ، وليس لهؤلاء أي دليل من القرآن أو السنة على صحة قولهم هذا ، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ : « وجميع أهل البدع قد يتمسكون بنصوص ، كالخوارج

---

(١) مجموع الفتاوى ٥ / ١٢٢ ، وتأويل مشكل الحديث لابن فورك ص ٦٣ ، والاقتصاد في الاعتقاد ص ٢٩ ، ٣٤ .

والشيعة ، والقدرية ، والمرجئة ، وغيرهم ، إلا الجهمية ، فإنهم ليس معهم عن الأنبياء كلمة واحدة توافق ما يقولونه في النفي »[١] .

القول الثالث : قول حلولية الجهمية

وهم الذين يقولون : إن اللّٰه بذاته في كل مكان .

وهذا قول النجارية[٢] ، وكثير من الجهمية عبّادهم ، وصوفيتهم ، وعوامهم .

ويقولون : إنه عين وجود المخلوقات . كما يقوله أهل وحدة الوجود القائلون بأن الوجود واحد ، ومن يكون قوله مركبًا من الحلول والاتحاد .

وهم يحتجون بنصوص المعية والقرب ويتأولون نصوص العلو والاستواء وكل نص يحتجون به حجة عليهم[٣] .

القول الرابع : قول طوائف من أهل الكلام والتصوف

ويقولون إن اللّٰه بذاته فوق العرش وهو بذاته في كل مكان وهؤلاء يقولون : إنا نقر بهذه النصوص ولا نصرف واحدًا منها عن ظاهره ؛ وهذا قول طوائف ذكرهم الأشعري في مقالات الإسلاميين ، وهو موجود في كلام طائفة من السّالمية والصوفية ، ويشبه هذا ما في كلام أبي طالب المكي ، وابن برجان

---

(١) مجموع الفتاوى ٥ / ١٢٢ .

(٢) هم أتباع حسين بن محمد بن عبد اللّٰه بن النجار ، وقدكان أكثر معتزلة الري ومن حولها على مذهبه ، وقد نقل الشهرستاني في « الملل والنحل » (١ / ١١٣ ، ١١٤) عن الكعبي قوله : (إن النجار كان يقول : إن الباريءُ بكل مكان وجودًا ، لا على معنى العلم والقدرة) .

انظر : مقالات الإسلاميين ١ / ١٣٥ - ١٣٧ ، ٢٨٣ - ٢٨٥ ، والفرق بين الفرق ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، وأصول الدين للبغدادي ص ٣٣٤ ، والتبصير في الدين ص ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٣) مجموع الفتاوى ٥ / ١٢٣ .

وغيرهما ، مع ما في كلام أكثرهم من التناقض .

وهذا الصنف وإن كان أقرب إلى التمسك بالنصوص ، وأبعد عن مخالفتها من الصنفين الثاني والثالث ، فإن الصنف الثاني لم يتبع شيئًا من النصوص بل خالفها كلها . والصنف الثالث ترك النصوص الكثيرة المحكمة المبينة وتعلق بنصوص قليلة اشتبهت عليه معانيها .

وأما هذا الصنف ، فيقول أنا اتبعت النصوص كلها ؛ لكنه غالط أيضًا فكل من قال : إن اللّٰه بذاته في كل مكان ، فهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها ، مع مخالفته لما فطر اللّٰه عليه عباده ؛ ولصريح المعقول والأدلة الكثيرة .

وهؤلاء يقولون أقوالًا متناقضة ، يقولون : إنه فوق العرش . ويقولون : نصيب العرش منه كنصيب قلب العارف ؛ كما يذكر مثل ذلك أبو طالب وغيره ومعلوم أن قلب العارف نصيبه منه المعرفة والإيمان ؛ وما يتبع ذلك .

فإن قالوا : إن العرش كذلك ، نقضوا قولهم : إنه نفسه فوق العرش . وإن قالوا بحلوله بذاته في قلوب العارفين ؛ كان ذلك قولًا بالحلول خاصة .

وقد وقع طائفة من الصوفية ـ حتى صاحب منازل السائرين في توحيده المذكور في آخر المنازل ـ في مثل هذا الحلول[1].

وبناءً على هذه الأقوال اختلفت مواقف الناس في صفة المعية على النحو التالي :

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ٥ / ١٢٤ ـ ١٢٦ .

القول الأول : قول أهل السنة والجماعة

أثبتوا علو اللَّه على خلقه وأنه مستو على عرشه بائن من خلقه وهم بائنون منه وقالوا إن معية اللَّه المقصود منها أن اللَّه عالم بخلقه مطلع عليهم لا يخفى عليه شيء من أمرهم .

« وهم بهذا أثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة ، من غير تحريف للكلم عن مواضعه ، أثبتوا أن اللَّه فوق سمواته على عرشه ؛ بائن من خلقه وهم بائنون منه .

وهو أيضًا مع العباد عمومًا بعلمه ، ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية وهو أيضًا قريب مجيب ؛ ففي آية النجوى دلالة على أنه عالم بهم »[(١)].

وقد رد أهل السنة على زعم من قال إن المراد بها معية الذات وأبطلوا هذا الزعم من وجوه عديدة منها :

أولًا : أن نصوص المعية الواردة في القرآن والسنة دل سياقها على أن المقصود بها معية العلم والاطلاع أو النصرة والتأييد .

ثانيا : أن كلمة (مع) في حال إطلاقها تفيد مطلق المصاحبة ثم إن سياق الكلام يحدد نوع المصاحبة ، ونصوص المعية حددت نوعين من المصاحبة هما :

١ ـ معية العلم ٢ ـ معية النصرة والتأييد

ثالثًا : إن جميع علماء السلف وأئمة السنة الذين نقل عنهم تفسير آيات المعية لم يفسروها بمعية الذات فهذا التفسير لم ينقل إلا عن المبتدعة من أهل الكلام .

---

(١) مجموع الفتاوى ٥ / ١٢٦ .

رابعًا : النصوص الشرعية في إثبات علو اللَّه واستوائه على عرشه كثيرة جدًا وتشهد بفساد زعم من قال إن المقصود بالمعية معية الذات .

القول الثاني : من نفى عن اللَّه الوصفين المتقابلين

وهؤلاء يقولون : ليس فوق العالم شيء ، ولا فوق العرش شيء ، ويقولون : ليس هو داخلا فيه (أي العالم) ولا خارجًا عنه ، ولا حالًا فيه ، وليس في مكان من الأمكنة .

وهذا قول الجهمية والمعتزلة وطوائف من متأخري الأشعرية ، والفلاسفة النفاة والقرامطة الباطنية[1] .

وهؤلاء لما نفوا عن اللَّه تبارك وتعالى الوصفين جميعًا فقالوا إنه لا داخل العالم ولا خارجه وشبهوه بالمعدوم لم يكن لهم قول معين في صفة المعية لأن مذهبهم قائم على نفي جميع الصفات عن اللَّه عز وجل .

القول الثالث : من فسر المعية بأن اللَّه بذاته في كل مكان وأنه حال في خلقه .

وهم حلولية الجهمية واحتجوا لقولهم هذا بنصوص « المعية » و « القرب » الواردة في القرآن الكريم مثل قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا

---

(١) انظر : نقض تأسيس الجهمية ١ / ٦ ، ٧ ، مختصر الصواعق ١ / ٢٣٧ ، الاقتصاد في الاعتقاد ص ٣٤ ، تأويل مشكل الحديث ص ٦٣ ، ٦٤ ، مجموع الفتاوى ٢ / ٢٩٧ - ٢٩٨ (٥ / ١٢٢ - ١٢٤) .

عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾ وقوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ ، وقوله تعالى﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ .

وقد زعم حلولية الجهمية أن المراد بهذه النصوص معية الذات وقرب الذات فلذلك قالوا : إن اللَّه بذاته في كل مكان .

الرد عليهم :

قد أبطل علماء السلف زعم هؤلاء الجهمية واستدلالهم بهذه الآيات وبينوا أن كل نص يحتجون به هو في الحقيقة حجة عليهم ، فنصوص المعية التي استدلوا بها لا تدل بأي حال من الأحوال على ما زعمه هؤلاء ، « وذلك لأن كلمة (مع) في لغة العرب لا تقتضي أن يكون أحد الشيئين مختلطًا بالآخر وهي إذا اطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال ، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى »[١] .

« ولفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع واقتضت في كل

(١) مجموع الفتاوى ٥ / ١٠٣ .

موضع أمورًا لم تقتضها في الموضع الآخر ، وذلك بحسب اختلاف دلالتها في كل موضع »[١] ، وهي قد وردت في القرآن بمعنيين هما :

المعنى الأول : المعية العامة

وحكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع على خلقه شهيد عليهم ، ومهيمن وعالم بهم[٢] ، وهذه المعية هي المرادة بقوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ فالله سبحانه وتعالى قد افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم ولذلك أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم تفسير القرآن على أن تفسير الآية هو أنه معهم بعلمه ، وقد نقل هذا الإجماع ابن عبد البر[٣] ، وأبو عمرو الطلمنكي ، وابن تيمية[٤] ، وابن القيم[٥] .

وعلى هذا فلا حجة للمخالفين في ظاهر هذه الآية .

وكذلك أيضًا ما جاء في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

فظاهر الآية دال على أن المراد بهذه المعية هو علم الله تبارك وتعالى واطلاعه

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٥ / ١٠٤ .

(٢) مجموع الفتاوى ٥ / ١٠٣ .

(٣) التمهيد (٧ / ١٣٨) .

(٤) مجموع الفتاوى (٥ / ١٩٣) ، و (٥ / ٥١٩) ، و (١١ / ٢٤٩ - ٢٥٠) .

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٤٤) .

على خلقه ، فقد أخبر الله تعالى في هذه الآية بأنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا ، فجمع تعالى في هذه الآية بين العلو والمعية ، فليس بين الاثنين تناقض البتة ، وهو كقوله ﷺ في حديث الأوعال : « والله فوق العرش يعلم ما أنتم عليه »[1] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١ / ٢٠٧) .
وأبو داود في سننه ، كتاب السنة ، باب في الجهمية (٥ / ٩٣ ، برقم ٤٧٢٣) .
وأخرجه الترمذي في سننه ، كتاب التفسير ، باب سورة الحاقة (٥ / ٤٢٤ ـ ٤٢٥ ، برقم ٣٣٢٠) .
وأخرجه ابن ماجه في سننه المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية (١ / ٦٩) .
والدارمي في الرد على بشر المريسي (ص ٤٤٨) .
وابن أبي عاصم في السنة (١ / ٢٥٣) .
وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١ / ٢٣٤ ـ ٢٣٥ ، ح ١٤٤) .
والآجري في الشريعة (٣ / ١٠٨٩ ـ ١٠٩٠ ، ح ٦٦٥) .
وابن منده في التوحيد (١ / ١١٧) .
واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣ / ٣٩٠) .
والذهبي في العلو (ص ٤٩) .
ومدار الحديث من جميع طرقه على « عبد الله بن عميرة » ، وعبد الله فيه جهالة : ولذلك قال الألباني في تخريج السنة (١ / ٢٥٤) : (إسناده ضعيف ، وعبد الله بن عميرة ، قال الذهبي : فيه جهالة ، وقال البخاري : لا نعلم له سماعًا من الأحنف بن قيس) . انتهى كلامه .
ولكن الجوزقاني صرح في الأباطيل (١ / ٧٩) بصحة الحديث وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٣ / ١٩٢) حيث قال : (إن هذا الحديث قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة في كتاب التوحيد الذي اشترط فيه أنه لا يحتج فيه إلا بما نقله العدل عن العدل موصولا إلى النبي ﷺ والإثبات مقدم على النفي ، والبخاري إنما نفى معرفة سماعه من الأحنف ولم ينف معرفة الناس بهذا ، فإذا عرف غيره كإمام الأئمة ابن خزيمة ما ثبت به الإسناد ، كانت معرفته وإثباته مقدما على نفي غيره وعدم معرفته) . انتهى كلامه . وكذلك مال تلميذه ابن القيم إلى تصحيحه . انظر تهذيب السنن (٧ / ٩٢ ـ ٩٣) .

المعنى الثاني : المعية الخاصة

وهي معية الاطلاع والنصرة والتأييد ، وسميت خاصة لأنها تخص أنبياء اللّٰه وأولياءه مثل قوله تعالى ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ .

فهذه المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد .

ولفظ المعية على كلا الاستعمالين ليس مقتضاه أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق ، ولو كان معنى المعية أنه بذاته في كل مكان لتناقض الخبر العام والخبر الخاص ، ولكن المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وتأييده دون أولئك[1] .

وأما استدلالهم بقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ ، فقد أجاب عنه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : « إن هذه الآية لا تخلو إما أن يراد بها قربه سبحانه أو قرب ملائكته كما قد اختلف الناس في ذلك فإن أريد بها قرب الملائكة : فدليل ذلك من الآية قوله ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ ففسر ذلك القرب الذي هو حين يتلقى المتلقيان ، فيكون اللّٰه سبحانه قد أخبر بعلمه هو سبحانه بما في نفس الإنسان ، ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ وأخبر بقرب الملائكة الكرام الكاتبين منه ، ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ وعلى هذا التفسير تكون هذه الآية مثل قوله تعالى ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ .

أما إذا كان المراد بالقرب في الآية قربه سبحانه ، فإن ظاهر السياق في الآية

---

(١) مجموع الفتاوى (١١ / ٢٥٠) ، و (٥ / ١٠٤) .

دل على أن المراد بقربه هنا قربه بعلمه ، وذلك لورود لفظ العلم في سياق الآية ﴿ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾ »(١).

وأما استدلالهم بقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ ، فمعنى الآية : أي هو إله من في السموات وإله من في الأرض ، قال ابن عبد البر : « فوجب حمل هذه الآية على المعنى الصحيح المجتمع عليه ، وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء ، وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض ، وكذلك قال أهل العلم بالتفسير »(٢) .

وقال الآجري : « وقوله عز وجل ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ فمعناه : أنه جل ذكره إله من في السموات وإله من في الأرض ، وهو الإله يعبد في السموات ، وهو الإله يعبد في الأرض ، هكذا فسره العلماء »(٣) .

وروى الآجري بسنده في تفسيره هذه الآية عن قتادة قوله : (هو إله يعبد في السماء ، وإله يعبد في الأرض)(٤) .

وأما استدلالهم بقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ ﴾ فقد فسرها أئمة العلم كالإمام أحمد وغيره أنه المعبود في السموات والأرض(٥) .

وقال الآجري : (وعند أهل العلم من أهل الحق ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ هو كما قال الحق ﴿ يَعْلَمُ

---

(١) الفتاوى (٦ / ١٩ - ٢٠) .

(٢) التمهيد (٧ / ١٣٤) .

(٣) الشريعة (ص ٢٩٧) .

(٤) الشريعة (ص ٢٩٨) .

(٥) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (ص ٩٢ - ٩٣) ، ومجموع الفتاوى (١١ / ٢٥٠) .

سِرَّكُمْ ﴾ فما جاءت به السنن أن اللّٰه عز وجل على عرشه ، وعلمه محيط بجميع خلقه ، يعلم ما يسرون وما يعلنون ، ويعلم الجهر من القول ويعلم ما يكتمون)[١] . مع العلم أن هؤلاء الذين زعموا أن اللّٰه في كل مكان يقول أكثرهم بضد ذلك ، فهم في حال نظرهم في الشبه الكلامية يقولون إن اللّٰه لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته . كما هو قول أصحاب المذهب الأول ، وفي تعبدهم يقولون هو في كل مكان .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكثير منهم يجمع بين القولين ؛ ففي حال نظره وبحثه يقول بسلب الوصفين المتقابلين كليهما ، فيقول : لا هو داخل العالم ولا خارجه ، وفي حال تعبده وتألهه يقول : بأنه في كل مكان لا يخلو منه شيء »[٢] .

وقال أيضًا : « وجماع الأمر في ذلك أن الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب اللّٰه وسنة نبيه ، وقصد اتباع الحق ، وأعرض عن تحريف الكلم عنْ مواضعه ، والإلحاد في أسماء اللّٰه وآياته .

ولا يحسب الحاسب أن شيئًا من ذلك يناقض بعضه بعضًا ألبتة ؛ مثل أن يقول قائل : ما في الكتاب والسنة من أن اللّٰه فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ . وقوله ﷺ : « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن اللّٰه قبل وجهه »[٣] ونحو ذلك فإن هذا غلط .

---

(١) الشريعة .

(٢) نقض تأسيس الجهمية ١ / ٧ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ص ٢٣٨ كتاب العمل في الصلاة باب ما يجوز من البصاق والنفخ في الصلاة رقم ١٢١٣ (ط دار السلام) . ومسلم في صحيحه ٥ / ٣٨ كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها .

وذلك أن اللّه معنا حقيقة ، وهو فوق العرش حقيقة ، كما جمع اللّه بينهما في قوله سبحانه ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء ، هو معنا أينما كنا ، كما قال النبي ﷺ في حديث الأوعال : « واللّه فوق العرش ويعلم ما أنتم عليه [(١)]»[(٢)] .

وذلك أن كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس في اللغة ظاهرها إلا المقارنة المطلقة ، من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال ؛ فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى . فإنه يقال : مازلنا نسير والقمر معنا أو والنجم معنا . ويقال : هذا المتاع معي لمجامعته لك ؛ وإن كان فوق رأسك . فاللّه مع خلقه حقيقه ، وهو فوق عرشه حقيقة .

ثم هذه (المعية) تختلف أحكامها بحسب الموارد فلما قال : ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ إلى قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ دل ظاهر الخطاب على أن حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم ؛ شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم . وهذا معنى قول السلف : إنه معهم بعلمه ، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته .

وكذلك في قوله ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ الآية .

---

(١) تقدم تخريجه قريبا .

(٢) انظر مختصر الصواعق ٢ / ٢٦٦ - ٢٦٧ .

ولما قال النبي ﷺ لصاحبه في الغار ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ كان هذا أيضا حقا على ظاهره ، ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع ، والنصر والتأييد .

وكذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ كذلك قوله لموسى وهارون ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ هنا المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد .

وقد يدخل على الصبي من يخيفه فيشرف عليه أبوه من فوق السقف فيقول : لا تخف ؛ أنا معك أو أنا هنا ، أو أنا حاضر ونحو ذلك . ينبهه على المعية الموجبة بحكم الحال دفع المكروه ؛ ففرق بين المعية ومقتضاها ؛ وربما مقتضاها من معناها ؛ فيختلف باختلاف المواضع(١) .

فلفظ (المعية) قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع ، يقتضي في كل موضع أمورًا لا يقتضيها في الموضع الآخر ؛ فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع ، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها ـ وإن امتاز كل موضع بخاصية ـ فعلى التقدير ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق . حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها(٢) .

ونظيرها من بعض الوجوه (الربوبية ، والعبودية) فإنهما وإن اشتركتا في أصل الربوبية والعبودية فلما قال ﴿ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ كانت ربوبية موسى وهارون لها اختصاص زائد على الربوبية العامة للخلق فإن من أعطاه الله من الكمال أكثر مما أعطى غيره فقد ربه ورباه ربوبية وتربية

(١) انظر مختصر الصواعق ٢ / ٢٦٥ .

(٢) انظر مختصر الصواعق ٢ / ٢٦٦ .

أكمل من غيره .

وكذلك قوله ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ و ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ . فإن العبد تارة يعنى به المعبد فيعم الخلق ، كما في قوله ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا آتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ .

وتارة يعني به العابد فيخص ؛ ثم يختلفون ، فمن كان أعبد علما وحالا كانت عبوديته أكمل ، فكانت الإضافة في حقه أكمل ، مع أنها حقيقة في جميع المواضع . ومثل هذه الألفاظ يسميها بعض الناس (مشككة) لتشكك المستمع فيها ، هل هي من قبيل الأسماء المتواطئة أو من قبيل المشتركة في اللفظ فقط ، والمحققون يعلمون أنها ليست خارجة عن جنس المتواطئة ؛ إذ واضع اللغة إنما وضع اللفظ بإزاء القدر المشترك ، وإن كانت نوعا مختصًا من المتواطئة فلا بأس بتخصيصها بلفظ .

ومن علم أن (المعية) تضاف إلى نوع من أنواع المخلوقات ـ كإضافة الربوبية مثلًا ـ وأن الاستواء على الشيء ليس إلا للعرش ، وأن اللّه يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية ، ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط ، لا حقيقة ولا مجازًا علم أن القرآن على ماهو عليه من غير تحريف .

ثم من توهم أن يكون اللّه في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب ـ إن نقله عن غيره ـ وضال ـ إن اعتقده في ربه ـ وما سمعنا أحدًا يفهم هذا من اللفظ ، ولا رأينا أحدًا نقله عن واحد ، ولو سئل سائر المسلمين هل تفهمون من قول اللّه ورسوله « إن اللّه في السماء » أن السماء تحويه لبادر كل أحد منهم إلى أن يقول هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا »[1].

(١) مجموع الفتاوى ٥ / ١٠٢ ـ ١٠٦ ، وانظر أيضا نفس المرجع ٣ / ١٤٢ .

القول الرابع : وهو قول من يقول أن الله بذاته فوق العرش وهو بذاته في كل مكان

وهذا هو قول جماعة من أهل الكلام والتصوف كأبي معاذ التومنى[(١)] ، وزهير الأثري[(٢)] ، وأصحابهما[(٣)] ، وهو موجود في كلام السالمية[(٤)] كأبي طالب المكي[(٥)] وأتباعه كأبي الحكم برجان[(٦)] وأمثاله

---

(١) أبو معاذ التومني من أئمة المرجئة ورأس فرقة التومنية منها .
انظر ترجمته ومذهبه في مقالات الأشعري (١ / ٢٠٤ ، ٣٢٦) ، (٢ / ٢٣٢) ، والملل والنحل (١ / ١٢٨) .

(٢) زهير الأثري ، ولم أقف على ترجمته ، وقد تكلم الأشعري عن آرائه بالتفصيل في المقالات (١ / ٣٢٦) .

(٣) انظر نقض التأسيس الجهمية (١ / ٦) ، والفتاوى (٢ / ٢٩٩) ، ومقالات الإسلاميين (١ / ٣٢٦) .

(٤) هم أتباع أبي عبد الله محمد بن أحمد بن سالم المتوفى سنة (٢٩٧ هـ) وابن الحسن أحمد بن محمد بن سالم المتوفى سنة (٣٥٠ هـ) ، وقد تتلمذ أحمد بن محمد بن سالم على سهل بن عبد الله التستري ، ويجمع السالمية بين كلام أهل السنة وكلام المعتزلة مع ميل إلى التشبيه ونزعة صوفية اتحادية ، انظر شذرات الذهب (٣ / ٣٦) ، وطبقات الصوفية (ص ٤١٤ - ٤١٦) ، والفرق بين الفرق (ص ١٥٧ - ٢٠٢) .

(٥) أبو طالب ، محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي ، صوفي نشأ واشتهر بمكة ، وهو صاحب كتاب « قوت القلوب » في التصوف وهو من أكبر رجال السالمية ، قال عنه الخطيب البغدادي : (ذكر فيه أشياء مستشنعة في الصفات) ، توفي سنة (٣٨٦ هـ) .
انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٣ / ٨٩) ، وميزان الاعتدال (٣ / ٦٥٥) ، ولسان الميزان (٥ / ٣٠٠) .

(٦) أبو الحكم ، عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد اللخمي الإشبيلي ، متصوف ، توفي سنة (٥٣٦ هـ) بمراكش .
انظر ترجمته في لسان الميزان (٤ / ١٣ - ١٤) ، فوات الوفيات (١ / ٥٦٩) ، الاعلام (٤ / ١٢٩) .

ما يشير إلى نحو هذا ، كما يوجد في كلامهم ما يناقض هذا[١] فهم يقولون بأن الله في كل مكان ، وإنه مع ذلك مستو على عرشه وإنه يرى بالأبصار بلا كيف ، وإنه موجود الذات بكل مكان ، وأنه ليس بجسم ولا محدود ولا يجوز عليه الحلول ولا المماسة ، ويزعمون أنه يجيء يوم القيامة كما قال تعالى ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ ، وقولهم هذا يشبه قول بعض مثبتة الجسم الذين يقولون إنه لا نهاية له[٢] .

والفرق بين هذا القول وقول الجهمية : بأن الله في كل مكان هو أن هؤلاء يثبتون العلو ونوعا من الحلول ، أما الجهمية فلا يثبتون العلو على مقصود هؤلاء من الاستواء على العرش والمباينة .

ويزعم أصحاب هذا القول أنهم بقولهم هذا قد اتبعوا النصوص كلها سواء كانت نصوص علو أو معية أو قرب .

الرد عليهم :

إنهم بقولهم هذا جمعوا بين كلام أهل السنة وكلام الجهمية ، ولذلك كان قولهم ظاهر الخطأ وغاية في التناقض .

أما بيان خطئه فهو يكمن في أن كل من قال بأن الله بذاته في كل مكان فهو مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها مع مخالفته لما فطر الله عليه عباده ، ولصريح المعقول وللأدلة الكثيرة ، فالقرآن الكريم مملوء بالآيات التي تنص على علو الله بذاته فوق خلقه واستوائه على عرشه وبينونته من خلقه

---

(١) مجموع الفتاوى (٢ / ٢٩٩) .

(٢) نقض تأسيس الجهمية (٢ / ٦) .

كما أن السنة قد تحدثت عن هذا المعنى في كثير من الأحاديث ، كقصة المعراج وصعود الملائكة ونزولها من عند اللّه وعروج الروح إليه واستوائه على عرشه ، ونزوله إلى السماء الدنيا ، فكل هذه الأدلة تبين بطلان هذا القول ومخالفته .

وأما استدلال هؤلاء بنصوص المعية والقرب ، فقد بينا خطأ هذا الاستدلال وبطلانه عند الرد على مذهب حلولية الجهمية ، وقد بينا أنه ليس للمخالفين أي متمسك في جعلها لمعية الذات أو قرب الذات .

أما بيان تناقض هذا القول : فهو واضح من أقوالهم ، فإنهم يجمعون بين أقوال متناقضة ، فتارة يقولون إنه بذاته فوق العرش ، وتارة يقولون إنه فوق العرش ونصيب العرش فيه كنصيب قلب العارف ـ كما يذكر ذلك أبو طالب المكي وغيره ـ ، ومعلوم أن قلب العارف نصيبه منه المعرفة والإيمان وما يتبع ذلك ، فإن قالوا : إن العرش كذلك فقد نقضوا قولهم بأنه بنفسه فوق العرش .

وإن قالوا بحلول ذاته في قلوب العارفين ، كان ذلك قولاً بالحلول الخاص وهذا ما وقع فيه طائفة من الصوفية ومنهم صاحب منازل السائرين[١] .

☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) مجموع الفتاوى (٥ / ١٢٢ ـ ١٣١) .

الخـــاتمـــة

بعد هذا العرض للآثار الواردة في صفة المعية ولبعض المسائل المتعلقة بها أعرض أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث فأقول :

أولًا : اتضح جليًا من خلال استقراء النصوص أن المعية تنقسم إلى قسمين هما :

١ـ المعية العامة :

والمراد بها معية العلم والاطلاع ، وسميت عامة لأنها تعم الخلق جميعًا مؤمنهم وكافرهم ، وبرهم وفاجرهم .

٢ـ المعية الخاصة :

والمراد بها معية النصرة والتأييد وسميت خاصة لأنها خاصة بأهل الإيمان .

ثانيًا : تبين للقارئ الكريم إجماع السلف على تفسير آيات المعية العامة بأن المراد بها أن اللَّه مع جميع الخلق بعلمه فهو مطلع على خلقه شهيد عليهم وعالم بهم ، وقد نقل غير واحد من أهل العلم إجماع علماء السلف على تفسيرهم لآيات المعية العامة بذلك كما تقدم ذكره في المطلب الثاني .

ثالثًا : بإجماع السلف على تفسير المعية العامة بمعية العلم ، لا يبقى حجة لمدع بوجود تعارض بين آيات المعية وآيات العلو ، وقد خصصت مطلبًا أوردت فيه عددًا من النقول عن العلماء جاء فيها الجمع بين إثبات العلو وإثبات المعية موافقة لما نصت عليه إحدى آيات المعية ، وهي الآية الرابعة من سورة الحديد .

رابعًا : إن القول بمعية الذات لم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة ولم يقل به أحد من السلف ، وأول من عرف عنه القول بذلك هم الجهمية والمعتزلة وعنهم أخذ المتأخرون من الأشاعرة هذا القول .

ومن أراد أن يعرف مصداق هذا فعليه بمطالعة كتاب الرد على بشر المريسي

للدارمي المتوفى سنة ثمانين ومئتين ، الذي ذكر هذا القول عن بشر وشيوخه حيث قال : « وزعمت أنت والمضلون من زعمائك أنه في كل مكان ... » . ـ انظر الرد على بشر المريسي ـ ضمن عقائد السلف ـ ص (٤٥٤) وقد كان ذلك قبل أن تظهر الأشعرية والماتريدية .

خامسًا : إن ما ينادي به متأخرو الأشاعرة من القول بأن اللّٰه في كل مكان واحتجاجهم على ذلك بآيات المعية ، ينقاض ما كان عليه أوائل الأشاعرة والذين تقدم ذكر بعض أقوالهم وإقرارهم بعلو اللّٰه وتفسيرهم لنصوص المعية بما عليه قول أهل السنة ، وردهم لزعم من قال بأن اللّٰه في كل مكان(١) .

سادسًا : إن استدلال هؤلاء المعطلة بنصوص المعية على زعمهم الباطل ، لا يتفق مع أصلهم الذي أصلوه في هذا الباب وهو عدم احتجاجهم بنصوص القرآن والسنة ، واعتمادهم على عقولهم ، وصنيعهم هنا يصدق عليه قول شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال : « وكثير ممن يكون قد وضع دينه برأيه وذوقه يحتج من القرآن بما يتأوله على غير تأويله ، ويجعل ذلك حجة لا عمدة وعمدته في الباطن على رأيه كالجهمية والمعتزلة في الصفات والأفعال .. » النبوات ص [١٢٩] .

وفي الختام فهذا جهدي أقدمه لإخواني القراء ، فما كان فيه من صواب فمن اللّٰه وحده ، وما كان فيه من خطأ فمني وأستغفر اللّٰه ، وآخر دعوانا أن الحمد للّٰه رب العالمين ، وصلى اللّٰه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

☆ ☆ ☆ ☆

---

(١) كأمثال أبي الحسن الأشعري وعلي بن مهدي الطبري والباقلاني والبيهقي وغيرهم .

فهرس الموضوعات

* * * *